

AL FATIHI

الفاثنى

لما أغلق

مجلة علمية دينية دورية
تصدرها جمعية الفاتح لإحياء تراث السلف الصالح
في الحضرة المالكية التواونية

العدد 09، سبتمبر 2023، السنة العاشرة

قصيدة العدد:

خُذِ الْوَصِيَّةَ ذِي فِي ضَمْنِهَا الْحَكْمُ

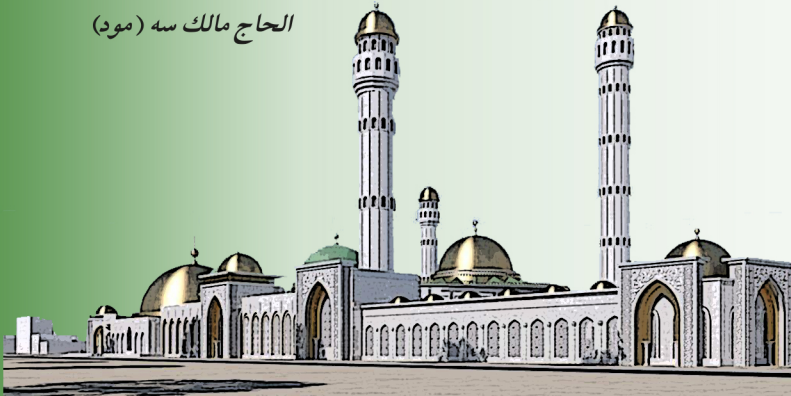


مَهْمَا تَصَفَّحْتَ مَكْتُوبَاتِهِ هَمَزَتْ
لَكَ الْفَرَائِدُ تَسْمُو خَالِصَ الرَّبِّعِ
الحاج مالك سه (مود)

نيل السّؤل من هدي الرّسول في ضوء تعاليم مدرسة الشيخ الحاج مالك

وَأَنْصُرْ أَيْدَا بَعْرِ السَّامِيِّ خِلَافَتَهُ
فَيْنَا وَكَمَّلْ لَهُ الْأَمَالَ يَا صَمْدِي
الحاج مالك سه (مود)

المولد النبوي الشريف وأبعاده



رحمة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم

من وحي كتابات الشيخ الحاج مالك سي

افتتاحية

بقلم رئيس التحرير

العلماء المرموقين. لقد تواصل صدور المجلة منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا، بناء على التضحيات الجسام للهيئة المشرفة عليها، والحماسة المقدرة من كتابها ومحرريها، الذين بعبائهم الفكري السخي أثروا موضوعاتها، وأغنوا مقالاتها، وتوعوا تناول الجيد والقيم لكافة المجالات والميادين المعرفية التي تهتم حياة الحضرة المالكية، فلهم بهذه المناسبة شكر خاص، وثناء حار، وباقة تبجيل وتقدير من القراء الكرام للمجلة، التي غدت مرجعا ومصدرا ثريا بالمعلومات والمعارف الغنية للباحثين والكتاب والطلاب، وإن المجلة في أعدادها المقبلة تعتزم تقديم مكافآت معنوية ومادية لهؤلاء الكتاب، تحفيزا لهم، وتشجيعا لغيرهم على مواصلة الجهد الإنتاجي والعلمي الذي يقومون به خدمة لتراث الحضرة المالكية ورفعته لسمعتها ومكانتها. وسيرا على دأبها المعهود، سيطالع القارئ في هذا العدد الجديد باقة أنيقة ومتنوعة من الموضوعات التي اختيرت لهم بعناية، وباقلام كتاب كبار ومرموقين، وهي تندرج تحت الموضوع العام للمولد في هذه السنة «نيل السؤل من هدي الرسول على ضوء تعاليم الشيخ الحاج مالك سي»، ونحن على علم تام بأنهم سيكتشفون بأنفسهم نفاسة وقيمة محتوى الموضوعات، نأمل أن تنال إعجابهم وتقديرهم. ونصل إلى النقطة الأخيرة من هذه الافتتاحية، لنخصصها لرفع وتقديم التعازي القلبية والمواساة الصادقة - باسم مجلة الفاتح، وقراءها الأعزاء - لكل من الشعبين المغربي والليبي على الابتلاءات والكوارث الأليمة التي حلت ببلديهما مؤخرا، سائلين الله العلي الكبير أن يواسيهم في هذه المصيبة الكبيرة، ويرحم الضحايا، ويخفف الآلام على المصابين وأسراهم إنه سميع الدعاء سريع الإجابة.

رئيس التحرير

بصدور هذا العدد من مجلتكم الغراء «الفاتح»، تكون المجلة قد أكملت مشوارها امتد لتسعة أعوام من التواجد الثقافي في ساحة الحضرة المالكية التواؤونية، وهي فترة زمنية قصيرة وطويلة في آن واحد، وإذ نحفل بهذا الحدث المصادف لميلاد الرسول الأكرم، فإننا نجدد تهانينا للأمة الإسلامية على هذا الحدث العظيم. ومجلة «الفاتح» تتحين هذه الفرصة السانحة «مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف» لتهنئة خاصة إلى جناب الخليفة العام الشيخ أبي بكر محمد منصور مالك، وإلى شقيقه؛ الحاج مالك سي ماود، والذي له بصماته الواضحة في عمر هذه المجلة، فهو أول من كتب له مقالة بعنوان «لمحة عن حياة وأعمال الشيخ الحاج مالك سي»، وأول بارك لها بقصيدة دالية رائعة في المنهج التربوي للشيخ الحاج مالك، ومقاله «شهد شاهد من أهلها»، في وفاة المرحوم الشيخ عبد العزيز الأمين، وإلى عميد المدرسة المالكية الشيخ أبي بكر عبد العزيز، وكافة أفراد الأسرة المالكية والمقدمين، والأئمة والأحباب، وكافة الطرق الصوفية، والجمعيات الإسلامية، ونقدم بخالص التهاني إلى مؤسسة محمد السادس، للعلماء الأفارقة؛ رئيسا، منتدبا، ومديرا ومسئولا وأعضاء. بالمناسبة نستحضر السياق الذي أنشئ في غمرته هذه المجلة، لقد كان ذلك بإيعاز وإذن من الخليفة المرحوم السيد عبد العزيز سي الأمين (نور الله ضريحه)، الذي كان أول رئيس تحرير للمجلة، كان القصد من تأسيس المجلة هو أن تكون صفحاتها منابر علمية وثقافية مرموقة تابعة للحضرة المالكية في تواؤون، وتساهم في استمرار الامتداد العلمي والمعرفي لهذه المدينة التي كانت في يوم ما من أكبر المراكز والمدن التي يقصدها طلبة العلم والباحثون عن المعرفة، ويكثر في جنباتها وعرصاتها الجهابذة والاقذاذ من

الفاتح

مجلة علمية دينية
يصدرها معهد الشيخ الحاج مالك سي
للدراستات الإسلامية والبحوث العلمية بتواؤون

السنة الخامسة - العدد 09

مولد عام 2023

تأسيس

{الشيخ عبد العزيز سي الأمين}

المشرف العام:

الشيخ أبي بكر سي محمد المنصور
الخليفة العام للطائفة التجانية

رئيس التحرير:

خليفة لو

khalifalo1@live.com

مدير التحرير:

الحاج مالك فال
أ. عبد العزيز باه

السكرتير المنسق:

أ. محمد فاي

papemouhamed05@outlook.fr

هيئة التحرير:

الشيخ مام ألفا سي - الشيخ صمب جانج - مصطفى سي
المدير - الدكتور مختار كبي - الدكتور بشير انغوم -
الدكتور عبد العزيز كبي - الدكتور عبد اللطيف البكوري
من المغرب - الدكتور عدنان زهار من المغرب - الدكتور
محمود المصري

محمد ولد فتا رئيس تحرير موقع رفي دكار - شيخ -
تجاني ماود سي - سيد أحمد سي الأمين - مصطفى ماود
سي - الأستاذ أني درامي - الأستاذ عبد امينغ - الأستاذ
عبد العزيز به - الأستاذ عبد صار - الأستاذ حسين فال
- الأستاذ مام شيخ جانج - الأستاذ سليمان بي - الأستاذ
عثمان جوف - الأستاذ مور جنغ - الأستاذ ألفا سين -
الأستاذ منير انغران - الأستاذ باب عبد سي - الأستاذ
باي انياس انبوج - الأستاذ سرين انبي به - الشيخ عثمان
عمر انيانغ

المخرج الفني:

أبو سيراندو

704006900

المراسلات:

أو khalifalo129@gmail.com

B : P : 8 TIVAOUANE

TEL: (+221)339552655 / (+221)339552020

(+221)775767594 / (+221)772753399

المقر الرئيسي:

معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات
الإسلامية والبحوث العلمية، حي «بام»
شمال المدرسة الثانوية الحكومية في
تواؤون.

نيل السّول من هدي الرّسول في ضوء تعاليم مدرسة الشيخ الحاج مالك حَاجَتُنَا إِلَى الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ



حَاجَتُنَا إِلَى الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ

انطلاقاً من قوله تعالى :

والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا

حاجتنا إلى الصلاح والإصلاح

أيا كانت التسمية التي أطلقت على هذا المفهوم الحيوي والرئيسي في المجتمعات المختلفة، فإن المضمون والجوهر والحقيقة المعنوية له واحد، وكل الكيانات البشرية التي تسعى نحو الرفاهية والازدهار والتقدم، وتحرص على إبقاء جذوة هذه الروح التي تطلق الطاقات المخبوءة في كل الأمم والأفراد، وتدفع القادة والنخب الواعية إلى تجشم المشقات والتضحيات الجسام، يحتل لديهم هذا المفهوم الذي قد تتباين الشعوب أو الأقوام في اختيار المصطلح أو التسمية المناسبة لها مكانة مرموقة وركيزة أساسية في نهجها ورؤيتها واستشرافها للمستقبل المنظور من حياتها.

الإصلاح بصفته مفهوماً نظرياً، يتداخل ويتشابك مع الكثير من المفاهيم الأخرى، والشعارات الأكثر استخداماً في حياة الناس، ويحتل حيزاً مهماً من اهتمامات الساحة الفكرية والسياسية والاجتماعية للأمم والشعوب والمجتمعات، بل إن مفهوم «الإصلاح» هو المفهوم الذي يمكن طي كل المفاهيم الأخرى المرادفة له أو المدانية في المعنى، والتي تستهدف نشر فكرة أو دعوة أو خطاب، يوجه إلى الآخرين من أجل دفعهم إلى قبول تغيير هذا الواقع المعاش إلى واقع آخر أفضل منه في الشكل والجوهر، وإلى الخروج من حالة بائسة إلى حالة أخرى أكثر رخاء ورفاهية ونماء.

وقد ينطلي على البعض من كثرة سماع هذا المصطلح، ومن تعدد الداعين إليه، من أنه «لا جديد

تحت السماء»، وأن كل النداءات نحو الإصلاح، ما هي إلا خدعة وتلاعب بالألفاظ والتعابير، وأن القائمين بالدعوات نحو الإصلاح ليسوا - في الحقيقة - سوى أفراد ذوي مصالح شخصية وفاعلين يعملون لمكاسب دنيوية، يسعون نحو تحقيقها على حساب الآخرين، يتذرعون بالمفاهيم الخلابية والجاذبة للإيقاع بالجهلة والعوام غير النابهين، نعم، قد يصدّق الواقع وقوع مثل هذه الحالات، غير أنه يؤكد حاجة المجتمعات إلى هذا المفهوم، وتعطش الأقوام والأمم في كل مراحل حياتها ومهما وصلت رفاهية العيش وبحبوحة الحياة في مجتمعاتها إلى قادة يعيدون إليها الأمل في غد أكثر إشراقاً، ومستقبل أبهج منظرًا، وواقع أكثر ملائمة والتصاقاً بطموحاتها وآمالها وتطلعاتها.

«الإصلاح» - إذا - هو هذا الخيط الرفيع من الرجاء، والذي يبقى الناس ما داموا يسمعون ألفاظها يمسكون ببصيص من الأمل في أن الأوضاع مهما تفاقم في التردّي والسوء، وأن المشكلات مهما تراكمت وتضاعفت، فإن هناك إمكانية لتغييرها وتبديلها بوضع أحسن، وبأن في النفوس بقية خير قادرة على غلبة كل الشرور والنوازع والاتجاهات التي آلت بالأمة إلى الوضع الذي تعيشها، وما أجمل هذا الشعور! وما أنبله! عندما لا يفقد المرء كلفة الأمل والرجاء في إمكانية العودة إلى دائرة تكون فيها الأمور قد عادت إلى فطرتها وطبيعتها، وغدا الوضع المتأزم؛ الفكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي قد بدأ في التحسن والتطور نحو الأفضل «ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل».

إن المجتمعات تصلح بوجود عناصر فاعلين ونشطين فيها، يعملون الصّالحات، ويحمسون الآخرين لعملها أي: الأعمال الطيّبة الباقية الأثر؛ والعمل الصّالح هو التعبير الشّامل والجامع، والقادر الذي يستوعب كل الأعمال والأفعال الإيجابية التي

تعمّ الباطنة منها والظاهرة، المعنوية والمحسوسة، العاجلة في نتائجها والأجلة في ثمارها. ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

والإتصاف بالصّلاح والبقاء عليه، هما الضّامنان الأساسيان لاستمرار الوضع الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، باقيا على ما هو عليه. ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

وكلّ المكاسب الدنيوية والأخروية، وكلّ النّجاحات الكبيرة، وكلّ الانتصارات العظيمة للإنسان في الأرض، سواء منها ما كانت سريعة التحقق في المدى القصير، أو ما كانت بطيئة التحقق يقتربن بالصّلاح لكي يرجى أن يؤتي ثماره. ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا...﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾

ولعلّ من الممكن التأكيد هنا إلى أنّ أولّ مظهر من مظاهر الفساد في الأرض يتمثّل في التّخلي عن الصّلاح والإصلاح، فمن لم يتحلّ بها، فهو مفسد أو مناصر للمفسدين. ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا، إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، واستحقاق أقوام لتحلّ عليهم نقمة الله وعذابه، يتأتى من تقاعسهم وتركهم مبدأ السعي الدائم إلى الإصلاح ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

والأنبياء والمرسلون وأهل العلم سابقا ولاحقا، كان الصّلاح والإصلاح خصلتين مترسختين في مسيرة حياتهم، عليهما أفنوا حياتهم، وعليهما حرّضوا وحثوا أتباعهم، ﴿وَمَا نُرْسِلِ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿...سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَلَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَبَيِّنِ النَّاسَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

والمتتبع والمتدبّر للآيات القرآنية يلاحظ ورود ما يزيد عن تسعين آية قرآنية مبدوءة بعبارة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ وقد عطفت على كلّ هذه النداءات الموجهة لهم بأمر أو نهى أو ترشيد، أو زجر وتقرير لفعل معيّن من الأفعال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ....﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ...﴾ فكلّ نداء للطائفة المؤمنة مقرون بالدعوة إلى القيام بأمره، أو اجتناب نهى، أو التّقيّد بسلوك وعمل، أو زجر من التّخلي أو التّخلّص أو التّصرّف بكيفية ما.

وبالكثرة نفسها تتكرّر في القرآن الكريم آيات عديدة تربط الإيمان بجملة من الأعمال التي تصنف على كونها أعمالا صالحة، يستحقّ من يتصف بها أو يعمل بها، أو يدرج في قائمة المؤمنين الصّالحين، ومن يخالفها أو يعمل بضدّها أن يصنف في قائمة أخرى غير القائمة السابقة.

إنّ المنهج القرآني في ربط الإيمان بأفعال وأعمال، وفي بيان القرائن والشواهد للاستدلال على الأعمال الصّالحة، يعتبر توجيها وتعلّما من القرآن الكريم لكلّ المؤمنين بضرورة السعي والعمل الدؤوب على تجسيد هذا الإيمان عبر القيام بالأعمال الصّالحات.

إنّ الصّلاح الذي ندعو له، هو ذلك الصّلاح الذي نستنبط قيمه ومثله العليا، وأخلاقياته السّامية من تعاليم ديننا، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هذا الصّلاح حصن وجنة لمجتمعاتنا من الانهيار والسقوط، وهو سلم ومعراج صعود لنا نحو آفاق النمو والازدهار، والتنمية على جميع الأصعدة.

والشيخ الحاج مالك سي - رضي الله عنه - يعتبر - وبحق - من رواد الإصلاحيين القاطنين في القطر السنغالي في بداية القرن العشرين ونهاية القرن الذي سبقه، لقد وعى واستوعب بفهمه الثاقب وحكمته العالية ونظرته الواسعة وإلمامه في دقائق الحقائق المسيطرة على الزمان والمكان، عرف سيولوجيا مفعول الدعوات الإصلاحية المرتكزة على تربية نشء، وإعداد نخب، وصقل مواهب، قد رأى أن أعظم خدمة يسديها لأمته تكمن في إيقاظ وعيه، وتعليم جاهليه، وتربية أبناءه، فانخرط في هذا الميدان،



المتحقق لا يتحرك إلا لشيئين حسنة لمعاده ودرهم لمعاشه.

ومنها الحث على الفرار من أبناء الدنيا فرار العبد من الأسد، ومنها التوكل علي الله في جميع أحواله، ومنها الدوام علي ما يعني ومحاربة النفس قال الشاعر:

يشغل الطالب بالصلاح

لا بالمقارعة والكفاح

ومنها: الحث علي الإحسان وعدم الإساءة إلي الناس، ومنها شجب ما حدث في هذا الوقت من أمور كثيرة؛ هي عين الفساد وحذر من التحرك لذلك ومنها قوله: ومن تبع الناس فيما كانوا عليه اليوم ضل كما ضلوا وهلك كما هلكوا... ومن أراد الكفاية فليرجع إلي الجزء السابع من الديوان في قسم الرسائل).

وهذا الباب واسع جدا في مؤلفاته كما قصيدته المباركة :

ولا تركنن حبي لدار فناء

فتحسر في الدارين دون مرء

ركونك للدنيا غرور وغفلة

ولا تركنن إلا لدار بقاء

إلى أن قال :

وما كان عيبا صار حسنا توافقا

لقد جلبوا للدين كل بلاء

وفيها كفاية، ناهيك عن قصيدة زجر القلوب، والتي يقول فيها:

ألا دار دنيا دار نوکی وجيفة

يجاذبها فاحذر بتلك كليب

ألا إنها دار الغرور فمن صفا

له العيش منها فالكدر عقيب

إلى أن قال:

أخي فاجتهد في اليوم والأمس فائت

وفي غدنا يا ذا النوى لغيوب

وفي قصيدته جلاء المتعلمين التي يقول فيها:

ألا يارسول الله كلي وجملتي

فإني في هذا الزمان غريب

وكان رائدا فذا للصلاح والإصلاح في السغال، بل كان نباسا ومعلما ومربيا في هذا المجال، فقد أبرز بنموذجيته وسيرته الذاتية مثالا رائعا للصلاح والإصلاح، وله عدة أمثلة في هذا المجال لا يسمح المقال بذكرها، غير أننا نورد مثالا لفكره الإصلاحي للأوضاع البئسة، والعادات المذمومة والمنكرات المتفشية، التي تناولها بالتنديد والاستنكار، وأولها اهتماما خاصا لمحاربته واستئصاله بين بني جنسه، يقول في رسالته المباركة التي وجهها إلي الأحاب



موصيا:

(فإني لما رأيت فساد الزمان واختلاط الأحوال وكثرة القيل والقال، وكثرة التعصب والحمية بما لا يجلب الطائل ولا المزية، أرسلت إليكم هذه الوصية: لتتقوا بحول الله وقوته ما وقع في هذا الزمان من البلية؛ ومنها الحث على ملازمة الصلوات المفروضة، وملازمة الوظيفة المعلومة في الصباح والمساء، وملازمة الذكر في كل وقت وحين، ومنها الدعوة إلي التعلم والتعليم، ومنها التحذير من ادعاء الفتحة والولاية من غير مذكر، ومنها عدم الاغترار بكثرة الهالكين، ومنها تعمير المساجد وملازمة السكون والوقار والتأدب، ومنها دعوته إلي أن المؤمن

إلى أن قال:

زمان أناس في إماتة سنة

تمالوا وبث العلم فيه عيوب

وبعض أبيات التي منها:

فاسمع خصالا ذميمة مقبحة

مستعمل الشم يا ذا اللهو واللعب

وكذلك أيضا قوله:

يارب هب لي صبرا أستعين

على احتمال أذى الأخلاق يا صمد

وغيرها من خطبه ورسائله التوجيهية المباركة،

والتي كان يوصي بها لربط حياة الأحاب بسيرة

المريض، وكان مما يستشهد به، ويحرض الإخوان إلى اتخاذه درسا وعبرة، تلك القولة الحكيمة للشرنوبى في شرح تائبة السلوك: «فاعلم أنه لا يصلح للإرشاد إلا من كان على علم يهدي به العباد، فإذا مرض مريده بسبب شبهة داواه، أو تحير في مسألة من مسائل الفقه أفتاه، مع قناعة تورثه الغنى عن الناس».

وعلى هذه الأسس السليمة الرشيدة القوية ربّى أصحابه وأحابه بلا خلوة، وأعطاهم من سيرته العلميّة وحياته اليوميّة، المتجسدة في أفعاله وأقواله وأحواله دروسا بليغة في الصّلاح، قبل أن يقوم بمهمّة الإصلاح بينهم» كما في قوله :

ألا نهوا الأتباع كي لا تؤاخذوا ...

وتنويها بهذا المنهج القويم الذي هو مدار التربية في الطريقة الأحمدية التجانية يقول الشيخ الخليفة أبوبكر سي رضي الله عنه :

رَبِّي بِلاَ خَلْوَةٍ أَصْحَابَهُ عَلْنَا

حَتَّى اسْتَقَامُوا فَيَا لِلَّهِ مَنَحَاهُ

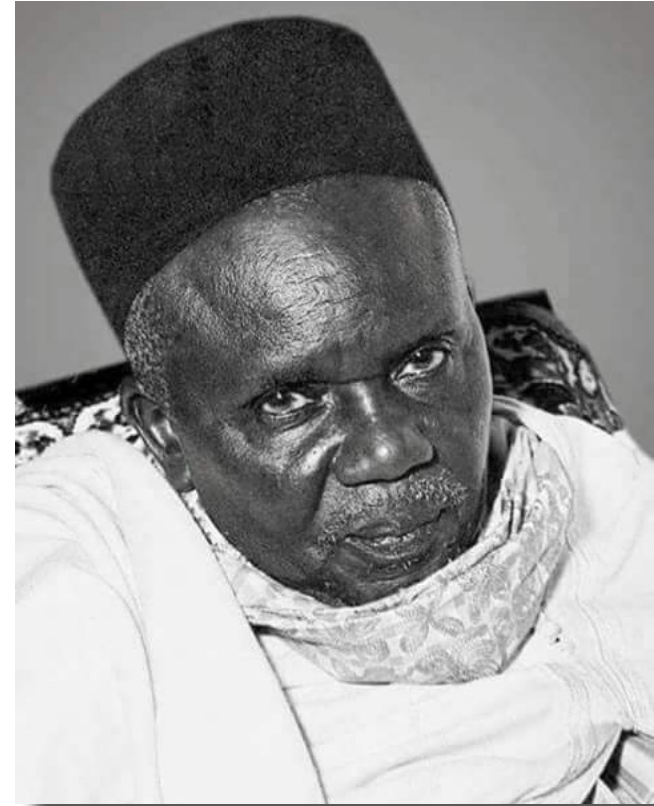
بهمة أوبحال حاز تربية

نعم المربي مرب الحق يرضاه

وعلى هذا الدرب وهذا المنوال سار رضي الله عنه. وإخوته من بعده {الشيخ محمّد المنصور، والشيخ عبد العزيز الدّبّاغ، والشيخ محمّد الحبيب} والحفدة في تأكيدهم على وجوب الصّلاح والإصلاح، وقد كفوا الناس مئونة التأويلات والتنظيرات الطويلة لمضمون الفكر الإصلاحي الذي قصده، حيث حصروا عواملها في مجالات خمسة؛ وهي من ضمن وصايا الخليفة أبي بكر سي رضي الله عنه التي كان يؤكّد عليها لدى خروجه على الجماعات والدوائر، وهي:

● **الدين:** وصلاحه يكون بشدّة التمسك به والسّعي نحو معرفة ما يصحّ به الاعتقادات، وما يصلح به العبادات والمعاملات، والإصلاح فيه، يكون بدعوتهم إليه وترغيبهم في محاسنه.

● **الطريقة التجانيّة:** والصّلاح فيها هو الاعتصام بها والعض عليها، مع التعلم والعمل بشروطها ومبادئها وأدابها التي بدونها لا يصحّ تمسك التّابع بالطريقة، أمّا الإصلاح فيها فيكون ينصح الإخوان والأحاب بأداب ومحاسن هذه الطريقة،



أسوة الخلق، التي هي التطبيق العملي لتعاليم ديننا الحنيف، كما كان يحذر من أمور تافهة لا أساس لها من الصحة لجمع الأموال وصيد الأتباع، وفي كتاب الكفاية كفاية لمن أراد الاستزادة في هذا الباب. وكل ذلك لعلمه بأن المريض لا يمكنه أن يداوي مريضا مثله، ناهيك عن التّفكير في مداواة الطبيب، بل الطبيب السّليم والصّحيح هو من يقدر على مداواة



ولكنها صارت مدينة مالك

وما مالك إلا كريم المدائن

وختاما: أدعو إلى مزيد من الاعتبار لدى تنزيل الفكر الإصلاحي في واقعنا، فالثابت الذي لا يختلف فيه اثنان، هو أن بقاءنا محتفظين بقيمتنا وأصالتنا وشرفنا رهن بمدى تمسكنا بهذا المبدأ، وعلينا كذلك، أن نكون جميعا جنودا للصالح والإصلاح بحيث نبتدئ من أنفسنا قبل غيرنا عملا بقوله تعالى: (أتأمرون بالبر وتنسون أنفسكم) وكما في تعبير الشاعر:

يأيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذو الضنا

كما يصح به وأنت سقيم

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا

أبدا وأنت من الرشاد عديم

فابدأ بنفسك فأنهها عن غيرها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ماتقول ويهتدي

بالقول منك وينفع التعليم

لاتنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

وكذلك أدعو إلى مراجعة آيات سورة لقمان، (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه...) وإلى قراءة متأنية ومتأمل لوصية الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه لابن عمه وهي قصيدة العدد (محمد يا ابن عمي أحمد العلم)

خذ الوصية ذي من ضمنها الحكم.

ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

..

بقلم الشيخ خليفة لوح

السكرتير الخاص للشيخ عبد العزيز سي الأمين

(رضي الله عنه)

وبتجنبيهم كل ما يعكر صفاءها يقول الشيخ عيد العزيز سي الأمين رضي الله عنه في إحدى محاضراته: «فليحذر كل تجاني أن يكون سلوكه سببا لنقد الطريقة..»

● **الاهتمام بالحرف والمهنة:** فصلاحه هو إتقانها وإجادتها والسعي لزيادة المهارة والحدق فيها، واعتبارها من مكملات الرجولة. والإصلاح في الحرف يكون بتعليمها للآخرين وعدم التلاعب أو الغش والتزوير فيها.



● **الاهتمام بالدوائر:** بالالتحاق بها والاستفادة من برامجها، وجعلها ملتقيات ثقافية وعلمية ومدارس مفتوحة للتربية الرشيدة للارتواء مع الأحباب من مناهلها الروحية والأخلاقية والدينية.

● **شد الرحال إلى تواون:** باعتبارها مدينة العلم والنور، وفيها اليمن للمتيامن، وفيها الوفاء للعهد وتوكيد المحبة وتوثيق عرى الأخوة، بحيث يؤكد التابع التزامه الكلي بأوامر وتعليمات الحضرة على وعي وبصيرة، وذلك بصدق الإيمان وصلابة العقيدة ومداومة العمل الصالح، وعلى أسس من المحبة والأخوة الصادقة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وفي حقها يقول الشاعر الموريتاني:

خليلي عوجا وانزلا بتواون

تواون فيها اليمن للمتيامن

فما طار فيها طائر متشائم

ولكنها ذات الطيور الميامن

جزى الله سفنا بلغتنا لأرضها

أتم جزاء من جزاء السفائن

ولم يك قبلا في تواون منزلي

ولا هي من أرضي ولا مواطني

تهنئة خاصة من جمعية الفاتح؛

إلى الأستاذ الأديب النقيب الأريب النقيب الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ «مختار كيب»

مقدمتهم مرشده وشيخه ومربيه شعبة الحمد الشيخ الحاج عبد العزيز الذي قد عينه كاتباً خاصاً وأسند إليه من الأمور مايكل اللسان عن ذكره وورث هذه الثقة من كافة أنجال وأحفاد الحاج مالك ولقد صدق الشاعر حيث :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يغنيك محموده عن النسب

والمرء بحسبه لا بنسبه وبفضيلته لا بفضيلته
ذلكم الخطيب الذي له من الشواهد في حقه ما تنوء الجمال عن حملها.

وإذا كانت الجامعة الإسلامية بمينيسوتا الولايات المتحدة الأمريكية تمنح شهادة الدكتوراه الفخرية لفارسنا الغالي فإنما ينضاف ذلك إلي سلسلة تكريمات فخرية منحت له منذ زمن بعيد علي أصابع أكابر الشيوخ في السنغال إشادة بجهوده المتواصلة ومواقفه الفذة في الحفلات الرسمية والمناسبات العلمية والمنابر الفكرية والفضاءات الثقافية الإسلامية والمجالس التربوية الدينية خير شاهدة علي ذلك.

فهنيئاً لكم يا حليف القلب ورفيق الدرب أستاذي وحببي وأنيسي وجليسي وسواك لساني الشيخ مختار كيب، وهنيئاً للحضرة التجانية المالكية باعتبار كل ذلك من ثمارها الدانية الياقة.

وهنيئاً للثقافة العربية وهنيئاً للمجتمع السنغالي علي هذا التكريم الجليل الذي يعتبر فخراً واعتزازاً للمفكرين والباحثين المستعربين لأن أي تكريم فرد واحد من جيل واحد تكريم لسائر أفراد الجيل

هذه تحية وتهنئة من جمعية الفاتح ومن لجنة البحث والمراجعة ومن سراج الحضرة المالكية ومن الاتحادات للدوائر نهديها إلي أنفسنا وإلى كافة المراكز العلمية الصوفية الدينية.

الشيخ خليفة لوح

السكرتير الخاص للشيخ عبد العزيز سي الأمين ورئيس

جمعية الفاتح

عضو المجلس الأعلى لمؤسسة محمد السادس

للعلماء الأفارقة .



كما يقال: «تعرف الرجال بالمواقف والمواقف بالرجال»

استطاع الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه بنظرته البعيدة وحكمته الفذة وهمته القعساء أن يكون أجيالاً يتعاقبون على مر التاريخ من أجل الحفاظ علي صفاء التراث العلمي والتربوي والروحي

الشيخ الأستاذ الدكتور مختار كيب، يعد من رموز العلم والمعرفة وأحد رواد التوجيه والتربية وأحد فطاحل التوعية والإرشاد، تالأت مواقفه وجهوده في الحضرة المالكية، عرف بنشر الدعوة إلى الله بالمستوى الأعلى وتعليم مبادئ التصوف السني وإبلاغ كلمة الحضرة في عدة ميادين إلى قلوب الأحباب، يواصل عمل الليل بالنهار للسهر والحفاظ والحرص على تراث سلفنا الصالح.

ذلكم الخطيب الذي لا تسأم الأذن من سماع صوته الجميل ولا تمل العقول من استيعاب درر كلامه ولا تتقاعس القلوب من الارتشاف من معين معانيه

ذلكم الخطيب النحرير الذي لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يستميل في أقواله قلوب الأحباب لصيد الأموال وجمع الأتباع كما هو شأن كثير من الخطباء المعاصرين ذلكم الخطيب المحبوب الذي لا يستعجل جليسه مفارقتة لطيب حديثه وفصل خطابه ودمائة أخلاقه وحسن سيرته وجم كرمه وحياءه وسعة صدره وصبره وجميل سلوكه ذلك الخطيب الذي حظي بثقة شيوخ الحضرة وفي



ولكم في رسول الله أسوة حسنة



وتحثهم على التأسى بأخلاقه الجميلة، وشمائله الكريمة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم عاش رسول الأمة وقودتها العظمى، والصورة الشاملة للإسلام، والتطبيق العملي للوحي، والتجسيد البشري لتعاليم الله تعالى. فعمله حجة، وسلوكه طريق، وحياته أسوة للناس أجمعين.

فهو الشخص الوحيد على وجه الأرض الذي في حياته كل ما يحتاجه الإنسان ليقتدي به، بالرغم من أن حياته من البعثة إلى الوفاة⁽²⁾

ومولانا الشيخ الحاج مالك - رضي الله عنه - ذلكم العالم العلامة الفهامة الدراكة، القطب الشهير، والعلم المنير، ذي المواهب الكريمة والمناقب الرفيعة، الفقيه الصوفي، والزاهد التقي، المربي الحصيف، والمعلم الفصيح الذي ينشر درر الحكم

2- أخلاق المؤمن عمرو خالد

أقبل شهر ربيع القلوب، وتفريج الكروب، شهر مولد النبي الكريم، ذي الهدى القويم، سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم. وبعد:

إنه من المسلم به؛ أن صلاح هذه الأمة مرهون بعودتها إلى سيرة المصطفى وهدى المنتقى، وإلى التأسى بسنته الطاهرة، وبشمائله الزاهرة، وإلى التمرس بأسلوبه التعليمي السليم، والتربي بمنهجه التربوي القويم، والذي ربي به أصحابه الهادين المهتدين رضوان الله عليهم أجمعين، حتى بلغوا ذروة المعالي في الأخلاق الحميدة، والقيم الإنسانية النبيلة.

وانطلاقاً من شعار المولد لعام 2023/1445م « بهدي رسول الله نربي الأجيال ارتأت هيئة التحرير لمجلة الفاتح التي تصدر سنوياً بمناسبة المولد، أن تقترح هذا الموضوع المحوري للمجلة بناء عليه: «نيل السؤل من هدي الرسول، في ضوء تعاليم الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه». والذي استخلص منه موضوع هذا المقال «ولكم في رسول الله أسوة حسنة» بغية مباحثته مع الإخوة، مستنداً في ذلك إلى ما في القرآن والسنة، وبعض أدبيات الشيخ الحاج مالك المحمدية.

في البداية اسمحونا - يا سادة الكرام - أن نتساءل لماذا العودة إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم؟ وما الهدف من دراستنا للأخلاق؟ ولمحاولة الإجابة على هذين التساؤلين نقول:

إن الأمة لم تكن في ظرف من الظروف التي مرت، بحاجة إلى العودة إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم كما هي بحاجة إليه اليوم، والسبب أنها عانت من ويلات الظلم ومحنات الجهل، وغياب العدل والعلم، ما نتج عنه تفشي ظاهرة الانحطاط الخلقي، ومأساة الانحراف عن طريق الحق، والبعد عن تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، بل غياب الأخلاق الحسنة التي هي غاية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽¹⁾. وفي الوقت نفسه تلح الحاجة والضرورة إلى المرجعية الدينية التي يتعلم منها الجيل الناشئ هدي نبيهم،

1- أخرجه الامام مالك في الحديث 1723

8 الفاتح: مجلة علمية دينية، العدد 9، السنة 2023

و ترتبط بكثرة ذكر الله، التي تؤدي إلى ملازمة الطاعة التي عين الاتباع لسنته صلى الله عليه وسلم، والاهتداء بهديه، والتأسي بأخلاقه وشمائله الكريمة التي ترسخ وتثبت الأخلاق الحسنة، وتحقق العدالة الاجتماعية، وتغرس الأخلاق النبيلة في المجتمع الإسلامي، كما تعود الصبر والتحمل، والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، فغيابها تحتم ضرورة العودة إلى هدي الرسول لتربية الجيل الناشئ.



يقول الرافعي في وحي القلم: لو أنني سئلت أن أجمل فلسفة الدين الاسلامي كلها في لفظين، لقلت: انها ثبات الأخلاق، ولو سئلت أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الانسانية كلها في حرفين لما زاد علي القول: انه ثبات الأخلاق، ولو اجتمع كل علماء أوروبا ليدرسوا المدنية الأوروبية، ويحصروا ما يعوزها في كلمتين لقالوا: « ثبات الأخلاق »⁽⁵⁾

فهدي النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله الكريمة، يحظى بالفرض والتعصيب في توجيه الأمم والأجيال، فهو مادة دسمة في ثقافة الحضرة المالكية التجانية التواونية للباحثين في أدبياتها العلمية. ولعل السبب يرجع إلى اهتمام الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه، بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أفاض فيه وأفاد، بل قضى نحبه هو وخلفاءه الكرام،

ما شاءت بلاغته التي تملك القلوب، وتبهز النفوس يقر ذلك بقوله:

إن الممات ومحيا البدر مرحمة

أماننا الله في هدي الرضا الكرم

تبان أعمالنا يوم الخميس له

ويوم الاثنين في استغفار ذي الجرم⁽¹⁾

أي موت وحياة النبي الكريم، الذي يصفه بالبدر: القمر ليلة أربعة عشر، رحمة وخير، وختم البيت بالدعاء لنفسه ولكل من تعلق به، الموت في هدي النبي صلى الله عليه وسلم (سيرته وسنته الطاهرة) صلى الله عليه وسلم، وهذا البيت والذي بعده يشير الشيخ، رضي الله عنه فيهما إلى هذا الحديث الذي روي عن خراش بن عبد الله، عن أنس بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، أما حياتي فأحدث لكم، وأما موتي فتعرض علي أعمالكم عشية الاثنين والخميس، فما كان من عمل صالح حمدت الله عليه، وما كان من عمل سيئ استغفرت لكم⁽²⁾

قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)⁽³⁾

ذهب صاحب تفسير روح البيان إلى بيان معنى الآية بقوله: لقد كان لكم في محمد صلى الله عليه وسلم خصلة حسنة وسنة صالحة حقها أن يتأسى بها أي يقتدى، كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد، فانه قد شج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته، وقتل عمه حمزة يوم أحد، وأوذى بضروب الأذى، فوقف ولم ينهزم، وصبر فلم يجزع، فاقتدوا بسنته، وانصروه ولا تخلفوا عنه. يا من يأمل ثواب الله ونعيم الآخرة أو يخاف الله واليوم الآخر، ويذكر الله كثيرا في جميع أوقاته وأحواله. وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الاتساء برسول الله⁽⁴⁾. قال الحكيم الترمذي: الاسوة في الرسول الاقتداء به، والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول وفعل.

وندرس من الآية الكريمة أن التأسي بهدي الرسول وشمائله، امتثال لأمر لله - سبحانه وتعالى - وأمل بنعيم الله وثوابه، وخوف الله واليوم الآخر،

1 - خلاص الذهب في سيرة خير العرب

2 - نيل الأرب من خلاص الذهب، لمحمد السعيد با، ط ٣ ص ١٨٤.

3 - الأحزاب ٢١

4 - أنظر شرح الآية الكريمة في تفسير روح البيان.

5 - أخلاق المؤمن عمرو خالد.



فهو - رضي الله عنه - في هذه الآيات يبين إعجاز القرآن الكريم، ذلكم الكتاب الذي أفحم فصحاء اللسن من العرب؛ فتحداهم على الإتيان بسورة مثل القرآن فلم يستطيعوا ذلك، فأصبحوا في صمم وبهت وبكم، ذلكم الكتاب الذي أحكمت ثم فصلت آياته، والذي حارت العقلاء العظماء عن إدراك وفهم ما تضمنه من المعاني والحكم البليغة، فهو أكبر معجزة من معجزات الرسول التي تبلغ ثلاث آلاف معجزة، ذلكم القرآن الذي هو خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، ففاق الرسول جميع الأنام في الخلق. وإن الحق تبارك وتعالى يشهد ذلك في محكم تنزيله بقوله: (وإنك لعلی خلق عظیم). وعند مسلم من حديث عائشة «كان خلقه القرآن» ومعنى ذلك أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له، هذا مع ما جبله الله به من الخلق العظيم، ومع ما حاز من ربه من الاصطفاء والاجتباء، ومع ما عنده من ربه مما لا يعرف ولا يعلم من التعظيم والمحبة والتوقير والتفضيل، كان لا يماثل في التواضع والخشوع لربه قلبا وقلبا، ولا يماثل في الحياء والرحمة لأمته. بل إنه حاز صلى الله عليه وسلم أفعال التفضيل على الناس من كل وصف جميل. يقول الشيخ الحاج مالك:

وحاز ما حاز لكن لا يماثل من
تواضع وخشوع القلب والرم
من كل وصف حميد حاز أفعال تف
فضيل رجاء البرايا يوم مزدحم⁽⁵⁾

5 - مرجع سابق.

في تعلم وتعليم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتنزيهاها من الدس والمين، كما دعا الأمة المسلمة إلى الولاء الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم، والاتباع الراقي لسنته، وللتأسي بشمائله الكريمة، ومنه يقول:

وكلما أفعله نويت فيه
أسوته صلى عليه مصطفىه⁽¹⁾

ويقول أيضا:

إذا تتبعت آيات النبي ترى
بأنه في سوى الخيرات لم يطم
أعددت حب رسول الله محشرتي
لكي يلقيني في أول الظلم

كما وهبت لنا ترتيب سيرته

فهب لنا الاقتدا يا هادي التهم⁽²⁾

فهو يشير في البيت الأول إلى المؤمن والطالب المتصفح المتأمل لهدي وشمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم الكريمة، ومعجزاته الباهرة، يدرك أنه - صلى الله عليه وسلم - ما خلق ولم يجبل إلا على الخيرات.⁽³⁾ كما أظهر وأكد محبته الصادقة للنبي صلى الله عليه وسلم، والتي يتمنى أن تستقبله في أول ظلمات يوم القيامة (ظلمات القبر) وتلاقيه في أول اللقاء بعد الخروج من القبر، وختم الباب بالتضرع إلى المولى - عز وجل - الذي مكنه من ترتيب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن يرزقه ولأحبابه الكرام دوام الاقتداء بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

كما يقول أيضا في بيان معجزات الرسول وأخلاقه الفاضلة:

كفى القرآن الذي يغدو به الفصحا

ء اللسن في بكم والبهت والصمم

وأحكمت فصلت آياته كلما

ته به حارت الأحلام للشهم

وكان خلق نبي الله ليس له

خلق سواء ففاق الكل في الكرم⁽⁴⁾

1 - منبع الكنوز العلمية والمعادن العرفانية، سه الجاج مالك.

2 - مرجع سابق

3 - نيل الأرب مرجع سابق، ص ٣٠٤.

4 - مرجع سابق



صلى الله عليه وسلم، وقد ضاع عن الأمة وحل محلها حب الرئاسة والشهرة والنجومية، الأمر الذي أدى إلى ما آل العالم إليه اليوم من تباغض، وتشاجر وتشاحن وتحاقد وتحاسد، وذلك نتيجة الانحراف عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي نتعلم فيه كيف كان النبي أباً حنوناً، وزوجاً رحيماً، وأخاً صالحاً، وإنساناً مخلصاً، وقائداً أميناً، وإماماً هادياً، وناصحاً صادقاً، ورسولاً يستقبل الإسلام ويبلغه للناس. فالعودة العود إلى الهدي، ولأن رسالته ليست رسالة دنيوية تطلب ملكاً بل رسالة نبوية أخروية، منطلقها الأول والأخير رضا الله سبحانه وتعالى.

أخي القارئ! إن من رام نيل إدراك كنه قدره صلى الله عليه وسلم، يكل ولا يعزى إليه وصول، فرغم ما عجت به يراعات المادحين له، وسطرته أقلام المفكرين والباحثين في حياته، وتوسل به الربانيون العاشقون، تبقى حقيقته المحمدية عزيزة الوصول والمنال، وما ذكر منها لا يبلغ معشار ما آتاه الله من الفضل والكرم، والأخلاق الحسنة النبيلة، فما بال المتطفلين العائمين في بحره الواسع؟؟؟ سيغرقون لا محالة، ولن تنقذهم إلا الصلاة عليه، صلى الله على المصطفى وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

أخوكم: محمد في
تواوون/٢/ سبتمبر/٢٠٢٣ م.

ويقول أيضاً محمد رضا: «إن اجتماع الفضائل في شخص واحد مع عدم التكلف أمر خارق للعادة، لأن الإنسان خلقت فيه شهوات لا يمكن أن يردّها إلى حد الاعتدال من غير إفراط أو تفريط، إلا إذا عود نفسه سنين عديدة، واجتهد وقد لا يستطيع»^(١)

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه: كان إذا سلم لا ينزع يده حتى ينزعها الذي يسلم عليه، وإذا سلم سلم بكليته، ولا يصرف وجهه عنك، حتى تصرف أنت وجهك، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس وكان هاشاً باشاً، لا تلقاه الا مبتسماً.

وجاءه أيضاً رجل يرتعد (يحسب أنه سيدخل على ملك من الملوك) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «هَوْن عليك فاني لست بملك، انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»^(٢) يا له من تواضع.

كما أنه أيضاً - صلى الله عليه وسلم - كان يركب الحمار^(٣)، مع قدرته على ركوب الخيل تواضعاً لله. وفي يوم خيبر، عاد النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر منتصراً على فرسه والكل في انتظاره، فلما وصل قال: «أين البغلة؟» فنزل عن فرسه وركب البغلة تواضعاً لله، وهذا الخلق الكريم يكفي لمدحه

١ - نيل الأرب مرجع سابق.

٢ - رواه ابن ماجه 3312 والحاكم 466\4.

٣ - رواه الامام أحمد 111\1 والهيتمي 20\9

المولد النبوي الشريف على مر التاريخ الإسلامي

وفي منظور تعاليم الحاج مالك سه (رضي الله عنه)

بل إن في ذلك تعظيماً لشعائر الله وتذكيراً لأيام نعمه على حد قوله تعالى: (وذكرهم بأيام الله). وكما هو المعروف في كتب المفسرين أن المدلول العام لقوله تعالى (أيام الله) هي النعم، والأحداث الزمنية الكبرى، والوقائع التاريخية العظيمة... وليست هناك نعمة أو حدث تاريخي أعظم وأجل من ميلاده (صلى الله عليه وعلى آله وسلم). قال المفكر الإسلامي محمد خالد ثابت في مستهل كتابه: تاريخ الاحتفال بمولد النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «من لم يفرح بمحمد لم يفرح أبداً» ولم تعرف الدنيا يوماً أهم... ولا أجل... ولا أعظم... ولا أنور... ولا أبهج... ولا أسعد من يوم ولد فيه محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)»

وإذا كان الأمر كذلك، فيجب على المسلمين الاهتمام بأيام الله، كما على الباحثين والعلماء أن يبينوا ذلك للمسلمين، وحرصاً على تعميم الفائدة، وإعلام الناس بعظمة نعم الله المباركات، نحاول في هذه المقالة الوقوف على أهم محطات ذكرى المولد في التاريخ الإسلامي - عامة - وفي ضوء تعاليم الشيخ الحاج مالك سه (رضي الله عنه) بشكل خاص من خلال النقاط التالية:

الأولى: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي في الإسلام

الثانية: المولد النبوي في فكر الحاج مالك سه

الثالثة والرابعة: ضوابط تنظيم المولد النبوي عند الحاج مالك سه، وأهم دوافعه: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي في الإسلام:

إذا ألقينا النظرة التأملية إلى ما وصل إلينا من آثار، نجد أنها تدل دلالة واضحة على أن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو أول من قام بتعظيم مولده المبارك، لما روي عن أبي قتادة الحارث بن ربعي أنه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لما سئل عن صيامه يوم الاثنين أجاب قائلاً: (فيه ولدت وفيه أنزل علي) وأثبت جمهور المؤرخين أنه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ولد في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، وقد لخص

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون* فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» . والصلاة والسلام على نبي الرحمة ومنقذ البشرية، الفاتح لما أغلق من المثل العليا، والخاتم لما سبق من القيم الحميدة محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الكرام، وبعد. يبدو جلياً لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أن أعظم شخصية عرفها العالم - بصفة عامة - والتاريخ الإسلامي - بشكل خاص - هو قائد الغر المحجلين محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الرحمة المهداة، والنعمة الكبرى للعالم كله، المربي الأمين العظيم الذي زكاه الباري - جل وإعلا - تزكية ما زكاها لأحد من الخلق، المخترار الذي أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

والمنتقل في صفحات سيرة العظام يجد أن الناس غالباً ما يضبطون تواريخ ميلادهم ويعظمونها لما في تذكروها من تذكرو النعم، والاستفادة بقيمتهم العليا، وتخيلد مواقفهم في صفحات التاريخ، لذلك لا غرو أن يهتم المسلمون - قديماً وحديثاً - باستذكار مولد منقذ البشرية.

وميلاد الرسول من أعظم النعم على البشرية جمعاء، لذلك يحق للمسلم أن يفرح به، ويعظمه، امتثالاً لقوله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته وبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

وفي هذا الصدد يقول الحاج مالك سه في حقه: (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)

شمس الهدى منه نهار وجودنا

أكرم ببدر أول وختام
مذ كان أطلع قد أتى فوز لنا
والكفر في كفر بدا وسدام



لنا الحاج مالك سه (رضي الله عنه) ذلك الحدث التاريخي العظيم في بيت شعري قال فيه:

ربيع والثنا فيه شهر
بعام الفيل يوما بعد نون⁽¹⁾.

ويذهب كثير من المؤرخين إلى القول إن: أول من قام بالاحتفال بمولد النبي في العالم الإسلامي بشكل منظم هو ملك "إربل" المظفر أبو سعيد كوكبري في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 985هـ\3911م) وكان ينفق في ذلك أموالا طائلة، وقد عمل له الحافظ أبو الخطاب بن دحية كتاب "التوير في مولد السراج المنير" فأعطاه ألف دينار.

كما قام بذلك الفاطميون، حيث احتفلوا بمولد النبي خلال فترة حكمهم بمصر، وذلك من سنة 263هـ إلى سنة 765هـ. ومن أجمل ما قرأناه في شأن الاحتفال بمولد النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ما جاء في فتوى صدرت من دائرة الإفتاء الأردنية رقم 356 "الاحتفال بالمولد النبوي أسلوب حضاري للتعبير عن محبة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والاعتزاز بقيادته، والالتزام بشريعته، ويجب أن يكون خاليا من المخالفات الشرعية، ويكتفي فيه بذكر السيرة العطرة والشمال الكريمة، والحث على التمسك بالدين" والله أعلم.

المولد النبوي في فكر الحاج مالك سه:

المتتبع لسيرة أعلام التبلاء في السنغال يجد أن هناك شريحة من دعاة ومفكرين وصلوا إلى مرحلة متقدمة من الوعي والتضج الفكري، ما سنحت لهم فرصة تحقيق مشروعهم الدعوي، والإصلاحي رغم غطرسة الاستعمار الذي نصب مخالف الحقد والعداوة صوب كل من شتر سواعد الجدد والهمة؛ لرفع راية الإسلام، وكان الشيخ الحاج مالك في الصف الأول من أولئك الأعلام الذين يحملون مشروعا دعويًا إصلاحيًا راقيا، يتفطن مستجدات الحاضر ورهائن المستقبل، فكان (رضي الله عنه) ممن يمثل النموذج الصالح، والمتوازن الذي ينطبق عليه مقولة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) "إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها" وفي هذا المنوال قال في حقه تلميذه الوفي الحاج محمد الهادي توري (رضي الله عنهما)

١ ربيع: إشارة إلى ربيع الأول، الثنا: يوم الاثنين، نون: 50 بمعنى واحد وخمسين يوما بعد حادثة عام الفيل.

أتيت والدين يشكو وهو مغترب
إهانة وحدودات وعدوانا
فقلت مجتهدا في ذاك منفردا

لله مستجدا لله مولانا⁽²⁾
فقد قام الشيخ (رضي الله عنه) بتوظيف جميع وسائل التربية الناجعة، والاستراتيجية الفاعلة؛ لدفع عجلة الإسلام ورفع رايته، ولما وجد أن التربية الإسلامية هي "الأسلوب الأمثل في التعامل مع الفطرة البشرية وتوجيهها توجيها مباشرا بالكلمة، وغير مباشر بالقدوة، وفق منهج خاص، ووسائل خاصة لإحداث تغيير في الإنسان نحو الأفضل" نظم (رضي الله عنه) في سنة 2091م ذكرى مولد النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في توازن بشكل رسمي تنظيما يوافق منوال الشريعة، وضوابط السنة

ضوابط تنظيم المولد النبوي عند الشيخ الحاج مالك سه: وأهم دوافعه:

الاحتفال بالمولد النبوي بكونه أسلوبا للتعبير عن محبة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والالتزام بشريعته السمحة، يجب أن يكون خاليا من المخالفات الشرعية، لذلك وضع الشيخ ضوابط ينبغي لكل من أراد القيام بذلك أن يتقيد بها، ومنها:

1- استحضار محبة النبي، وعظمته في القلب. يقول الحاج مالك في نونيته:

ومولده به شرف وخير
ففي التعظيم إنجاح الشجون

فقد بين (رضي الله عنه) أن مولد النبي حدث تاريخي عظيم؛ لما فيه من تذكّر رجل عظيم، كان الله له مؤيدا وناصرًا، وأعطاه ما لم يعط أحدا قبله ولا بعده، خضعت له الملوك والجبابرة، وكان الكون له محبا وعاشقا.

2- تعظيم مولد النبي احتسابا، وفي جو خال من مظاهر المخالفات الشرعية:

فنادى (رضي) من أعماق القلب في لاميته:
ألا عظموا ليل الولادة حسبة
إذا لم يك نحو الحرام عدول

لذلك لما قام (رضي الله عنه) بهذه الاحتفال العظيم بعد استقراره في توازن، أحيا ليلة المولد مع تلميذه الحاج روحان أنغوم بتلاوة القرآن الكريم، فقرأ النصف الأول من المصحف، وقرأ الحاج

٢ غاي شيخ تجان، هذا العبقرى (الشيخ محمد الهادي توري) ص 42



روحان انغوم النصف الثاني، فصادف انجلاء الليل ختمهما للمصحف الشريف⁽¹⁾

3- التأسّي بأخلاق الرسول واتباع سنته الفراء:

سيرة الرسول فلسفة حياة، وأسلوب عمل، تزود المتأسّي بها كنوزاً معنوية ومادية، تأتي أكلها كل حين ولكن النفحات والشمائل المحمدية لا ينبغي أن يتوقف المتطلع عليها على شاطئ التصور والخيال، بل يجب أن يغوص في درر سلوكياته (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ويقتدي بقيمه ومثله العليا، يقول الشيخ في ميمته:

وليس نفع على حب بلا عمل

وتابعن سنة المختار تغتم

❖ أمّا أهمّ العوامل التي دفعت الشيخ على القيام بذلك، فتكمن فيما يلي:⁽²⁾

- العامل التربوي والثقافي: ويتحقق في تنظيم برامج ثقافية، ومحاضرات دينية تربوية، تساعد الوافدين على نفذ غبار الملابس والمعتقدات الهدامة، التي تؤثر من حين لآخر في قلوب بعض ضعاف النفوس منهم؛ نظراً لوجودهم في مناطق ملوثة ببعض التيارات الفكرية الهدامة، لذلك يتولى في هذا الموسم بعض علماء الحضرة المالكية شحن قلوبهم بطاقات جديدة من النفحات القرآنية، والشمائل المحمدية، التي تجدد في قلوبهم روح محبة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يقول الشيخ في نونيته:

ألا حبل المودة جديها

ففي التجديد نحى كل حين

ويتمثل ذلك في قراءة القرآن الكريم، وشرح بعض كتب السيرة النبوية، وأشهر كتاب يقرأ في أيام المولد في تواون «بردة المدح» للبوصيري، حيث يقرأ في كل يوم من الأيام العشرة الأوائل من شهر ربيع

١ جاء، محمد مصطفى، الفكر التربوي عند الشيخ المربي الحاج مالك سه، مرجع سابق، ص 126

(٢) انظر: الحاج محمد المنصور بن الحاج عبد العزيز سه الدباغ، الاحتفال بالمولد النبوي كوسيلة للتربية على المنهج النبوي عند الشيخ الحاج مالك سي (رضي الله عنه) أعمال الندوة الدولية للذكرى المئوية، للاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بمدينة تواون المحروسة، المنعقد في دكار بتاريخ 24-17، 5، 2002م، المعرض الدولي للتجارة الخارجية بدار السنغال، ص 67

الأول فصلٌ من فصول الكتاب. يليه خلاص الذهب في سيرة خير العرب للمترجم له، تلك المنظومة النفيسة التي أورد فيها الحاج مالك سه زبدة سيرة الرحمة المهداة، والقُدوة الحسنة المصطفى من المصطفين الأخيار، الذي وعد الباري نعمة الهداية لكل من تأسى به في قوله -جل وعلا- (وإن تطيعوه تهتدوا) وهو كتاب سيرة بالدرجة الأولى، ولكنه حافل بمضامين فكرية وتربوية واجتماعية قيمة، كتبه الشيخ بأسلوب علمي رصين، مطرز بمحسنات لفظية ومعنوية نادرة النظر.

- 2- العامل الاجتماعي: ذكرى المولد النبوي الشريف في مدينة «تواون» حدث تاريخي، وفرصة اجتماعية ذهبية؛ لخلق لقاء كبير، تتجمع فيه آلاف مؤلفة من المسلمين على اختلاف أجناسهم، وأعراقهم، ولغاتهم، تجمعهم وحدة العقيدة، ومحبة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، والتأسّي بشمائله، والاقتداء بهديه، يتألفون ويتضامنون ويتكافلون فيما بينهم.

- 3- العامل الاقتصادي: موسم المولد فرصة ثمينة للتجار، والمزارعين، وذوي الحرف؛ إذ يتم خلالها تحقيق التبادل الاقتصادي الثمر، الذي يساهم مساهمة رفيع المستوى في رفع الدخل اليومي لمختلف القطاعات أيام المولد.

- 4- العامل الاستراتيجي، والتواصلي: لقد كان للحاج مالك مُقدّمون، زوّدهم بأرصدة من المعطيات الفكرية، والعلمية والتربوية، ووزّعهم في مناطق متناثرة في البلاد، يحمل كل واحد منهم مشروعاً دعوياً وإصلاحياً لقومه، ولكن الاستعمار كان في مراقبة دائمة لتنقلاتهم، الأمر الذي حال بين كثير منهم وبين تبادل الزيارات والكفاءات مع أقرانهم وشيوخهم الحاج مالك سه، زيادة على ذلك ندرة وسائل النقل والاتصال، فجاء هذا الحدث السنوي الرسمي ليشكل فرصة للقاء الشيخ، وتبادل الخبرات.

وخلاصة القول في الاحتفال بالمولد: إنه موسم تاريخي، وحدث ديني، اجتماعي، ثقافي، تربوي، يتم خلاله تزويد المسلمين بأرصدة من النفحات القرآنية، والشمائل المحمدية.

بقلم البروفيسور محمد مصطفى جاه الجلفي

لمحة وجيزة عن نشأة المدرسة المالكية التوأونية ومراحل تطورها

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الرحمة، ونبي التربية، ومبعوث التعليم والتربية وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد:

لمحة عن نشأة المدرسة المالكية التوأونية ومراحل تطورها

نستعرض الفقرات الموجزة الآتية لبيان نشأة المدرسة المالكية ومراحل تطورها، مركزة في ذلك على أهم الأحداث والأعمال التي لعبت دورها في هذه المدرسة وتطورها:

المرحلة الأولى:

كانت المدرسة الأولى للشيخ مدرسة متنقلة، تستقر حيناً في غامو جيله في مواسم الأمطار، وحيناً آخر في مدينة «اندر» فيما بعد الحصاد.

والجدير بالذكر أن الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه تعلم صغيراً وعلم في سن مبكر، فقد حفظ القرآن الكريم، وأتقن علوم القراءة والرسم، كما تضرع في الفنون اللغوية من لغة وأدب، وكذلك العلوم الشرعية، وسلك في سلك رجال الله، ولم يبلغ الثامنة عشر من عمره. الأمر الذي مكنه من نصب محظرة للتعليم، مستخدماً أسلوب تلقين الأطفال المبتدئين حروف اللغة العربية، ومفضلاً الطريقة الهجائية، وقد كان هناك ثلة معروفة من المعلمين الجيدين المتعاونين معه؛ من كبار المقدمين في الطريقة التجانية، لقد أثمرت جهوده في المرحلة الأولى في شيوع اسمه، وشهرة أسلوبه سواء في حله أو ترحاله، نتيجة نبوغه وبراعته، وحسن معاملته، ولاقى قبولا واستحساناً منقطع النظير من الأولياء والطلاب المترددين إلى حلقاته، وقد صادفت نهاية هذه المرحلة رحلته إلى الأراضي المقدسة عندما كان عمره ٣٠ سنة.

المرحلة الثانية:

بعد رجوع الشيخ الحاج مالك سه إلى أرض الوطن، أعاد نشاطه التعليمي وبوتيرة أشد وأكبر من ذي قبل، إذ ازداد عدد الطلاب الوافدين إليه، فأسس زاوية اندر في عام ١٨٩٣، وكانت عبارة عن بناية متواضعة في شكلها نفيسة القيمة في برامجها وأساليب تعليمها، وبدأت هذه المدرسة الجديدة

في شق طريقها في هذه الجزيرة التي كانت آنذاك عاصمة المستعمرات الفرنسية وملتقى التوجهات والثقافات المختلفة، وقد رآها الشيخ غير مناسبة لمشروعه التربوي والتعليمي؛ بالنظر إلى عدم قدرته على الاعتماد على نفسه في توفير حاجاته، ففكر في نقلها إلى «انجار» حيث تسمح الوضعية الجديدة له بممارسة الزراعة والرعي وتدريب طلابه على القيم والأخلاق التي يريدها، وكانت «انجار» هي الفترة الذهبية لتكوين جيل كبير من المتعلمين على يديه، وتميزت هذه المرحلة بكون:

- الدراسة فيها كانت على مستويات عليا، وتولى الشيخ التدريس فيها جملة وتفصيلاً؛
- سروعة التكوين وكثافته لكبار العلماء الذين أراد الشيخ أن يتصدروا مجالس التدريس والتعليم والإفتاء في مناطقهم، أي أن يكونوا الدعاة والعلماء والمربين الجدد؛

تسببت مضايقة المستعمر وكثرة استدعائه من قبلهم إلى اختيار الشيخ أن يأوي إلى مدينة هادئة، يمارس فيها مشروعه التربوي فاختار مدينة «تواون» بفضل معارف وأحباء كانوا متواجدين فيها، ورغبوا إليه الحضور فيها.

المرحلة الثالثة:

تم تأسيس زاوية «تواون» لتكون المقر الجديد للمدرسة والجامعة الشعبية المشهود لها عبر التاريخ بالتميز والجودة والأهمية، وقد كانت تستقبل الدارسين من مختلف الأعمار، ومن مختلف التوجهات العقيدية والسلوكية، وتميز بكون الشيخ الحاج مالك كان يدرس لكبار العلماء، بينما يتولى طلابه تدريس المبتدئين والمتوسطين، هذا، وقد شهدت هذه الفترة دخول هذه المدرسة في عصرها الذهبي بكل المقاييس والمعايير العلمية والتربوية والاجتماعية.

بقلم الدكتور محمد البشير انغوم

مدير التعليم والتربية في الزاوية المالكية
التجانية التوأونية



هنيئاً هنيئاً يا خليفة شيخنا!

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.
محاولة شعرية متواضعة في جناب الخليفة الشيخ أبي
بكر سه. أمد الله عمره مع الصحة والعافية وتحقق
الأمانى. وبعد



فبشرى لقاف تربة الخير والنصر
خليفة شيخي الحاج درّة عصره
ترى صدفا يحوي خلاص زبرجد
فتى مثل ألف ليس يوزن قدره
أمين صبور صامت عن سفاسف
صفى صدوق صادق الكل صدقه
فأحسن بما أبدى وأكرم بما اختفى
ونجل أخى الدباغ حبّ حبيبهم
هنيئاً هنيئاً يا خليفة شيخنا
نصافيك ما دمنّا دعاء لشكركم
فأبليت يا شيخي بلاء محسنا
سطوري لا تكفي لوصف مناقب
يبارك مولانا لكم ويتم كل
أمد لك الرحمن عمرا موقفا
مع النصر والتوفيق والنّجح دائما
يصلي إله العرش في كل لحظة
وأصحابه والآل أنصار دينه

سلاما سليما بلغن لأبي بكر
سراج لرواد الهدى كلما دهر
يوزع للمحتاج ما احتاج من درّ
ولا لا يبارى منزلا وصف الفكر
أخو الجدّ يصمد في مواقفه الغرّ
تساجله ورق الحمام لدى النقر
من الاءه ذاكم سميّ أبي بكر
محمد المنصور ذي جلد الصخر
وسيلي أبي العباس وا فلذة البدر
بما نُبتَ عنا بانّي الجامع البكر
بجمع علوم الشيخ ديوانه الفكري
وهل توصف الأعمال بالشر والشعر
ل ما تمّ بدأ دائم الفتح واليسر
وآثاركم تبقى مدى العمر والدهر
يزحزحك المولى عن الحقد والمكر
على حبنا المختار صاحب ذا الشهر
ومن وافقوهم ما أتى مولد البدر

من المتشاعر: بابا عبد العزيز سه ابن المرحوم الشيخ أحمد التجاني سه محمود.



حبّ النبي المختار

بين الشعور والشعار

انجذب إليه عاطفياً، وتأثر به، ورغب في مشاركته جميع لحظات حياته، والبقاء معه للأبد.

وعليه فإن محبته صلى الله عليه وسلم ينبغي أن تكون أعظم من محبة النفس التي بين جنبيك، وأنفاسك التي تتردد، وقلبك الذي يخفق، فضلاً عن محبة الزوج والأبناء، أو الأمهات والآباء. يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رأي بأهله وماله». فهل أنت كذلك مع رسولنا الكريم؟ ألك موعد معه يومياً؟ وهل فكرت يوماً ما في أن تبقى معه طول النهار بالصلاة عليه، أم حدثتك نفسك أن تسامره ليلة ما بالسلام عليه، وهل انتسيت بسنته أم اقتفيت بسيرته؟

وقد لخص لنا الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه هذه الموازين ورسم لنا معالم الحب الصادق الذي ينبع عن استشعار لقدره صلى الله عليه وسلم واستحضار لمقداره العظيم بقوله:

وواجب طاعة الهادي محبته
كذا اتباع الذي يأتي من الأمم
لها العلامات قالوا إن أعظمها
استعمال سنته من جملة الأمم
وليس نفع على حب بلا عمل
وتابعن سنة المختار تفتنم
وكثرة الشوق في لقيا لسيدنا
من العلامات هب لي ذاك ذا الأمم
وكثر ذكر صلاة ثم نصره دينه
تخلق ما قد جاء من شيم
تعظيمه والتذاذ حين تذكره
حب القران وأصحاب له كرم

تللك عشرة كاملة لمن أن أراد أن يقيس مدى حبه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الاستاذ عبد العزيز كولي

أودّ أن أبدأ حديثي هذا، بما سوف أختتم به، لأختصر الموضوع لمن لا يصبرون على القراءة الطويلة، فأقول:



هل وقفت يوماً ما مع نفسك لتسائلها عن معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)؟ أم باحثتها في قوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)؟

وهل وضعت - ذات مرة - يمينك على صدرك لتتحسس عن نبضات قلبك لعلها تهمس إلى أذنيك بأن هذه الدقات بسبب حبك للنبي صلى الله عليه وسلم، وما مدى هذا الحب وما نوعيته؟ أحبّ بشعور حقيقي أم بمجرد شعار؟

فهذه مجموعة تساؤلات، أرجو - في نهاية قراءتك لهذه المقالة أن تجد لها أجوبة، ولست مُلزماً بأن تبوح بها علناً، لأنها تخصك أنت، فالمهم أن تكون صادقاً مع نفسك، وصريحاً مع ضميرك، إذ إن القلب كتاب مغلف، لا يدري محتواه إلا صاحبه، غير أنه يمكن قراءة بعض صفحاته من خلال ما يقوم به هذا الصاحب من حركات وسكنات. فقد تعددت صور الحب وجمعت في طياتها كل المتناقضات، ما بين حب حقيقي، وادعاء له، وبين حب نافع مُعزّز، وآخر ضار مُذل.

وحب النبي صلى الله عليه وسلم، لا أقول إنه من قبيل الحب النافع فحسب، بل إنه هو الحب بعينه، إلا أن له موازين إن اختلفت انحرف عن معناه الحقيقي وصار مجرد دعوى فارغة وشعار أجوف ذلك أن كلمات اللغة ليست مقتصرة على دلالة واحدة فاللفظة تزداد امتلاءً بأبعادها الدلالية بسبب تنوع مستخدميها، فما تعنيه كلمة "الماء" عند الظمان قد تكون على نقيض ما تعنيه عند الغريق وكذلك كلمة "الحب".

فإذا كان الانسان مشغولاً بحب شخص ما،

المولد النبوي بين المنتقدين والمؤيدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً
يليق بجلال وجهه
وعظيم سلطانه، و
الصلاة والسلام على
أفضل نبيٍّ أُرسل
إلى خير أمةٍ أخرجت
للناس



بأمرهم
المعروف ونهيهم عن
المنكر. اللهم صل وسلم
وبارك على نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم،
وعلى أصحابه الطاهرين أجمعين ذو السبق والفضل
والتمكنين أما بعد:

حاز الاحتفال بمولد المصطفى عليه الصلاة
والسلام مساحة واسعة من الجدل والنقاش عبر
العصور بين المنتقدين الرافضين والمؤيدين
المناصرين.

ظهر بين أوساط مسلمي العالم هذا الجدل
القديم المختلف الأطراف والمواقف، والذي يذهب
إلى القول عند الرافضين تحديداً لرمي المؤيدين
بالبدعية، وكثيراً ما يطالبون البرهنة والأدلة على
وجوب هذا الاحتفال، ونتج عن هذا الأخذ والرد
انتقادات بين الأطراف كل حزب بما لديه مؤيدون،
وتارة أخرى تكفر جماعة أو طائفة برمتها على القيام
بالاحتفال.

المهم، يعود مسلمو العالم عموماً، والسنيون
خصوصاً إلى الاحتفال بمولد النبي الشريف عليه
أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كلما حل شهر مولده
المبارك، فيقومون بحلقات وبرمجيات ثرية تعرض
فيها بعضاً من حياة الرسول وتضحياته وتعاليمه
وإرشاداته، وانطلاقاً من أول يوم من شهر مولده لا
يتوقف المسلم أينما كان ويعيش أن يسمع شيئاً من
هذه الاحتفالات، ومظاهر الفرحة لدى المسلم بشهر
ولادته، كل بقعة ينمطها الاحتفالية حسب عرفها
وعادتها.

الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم
عند المؤيدين من معالم الدين وقد لا يحتاج إلى

دليل وإنما يحتاج إلى قلب سليم ومنطق عظيم،
إذ يمثل بداية النهايات، نهاية الظلم وبداية السلم،
وتحوّل العالم من الضلالة إلى الهداية، علاوة على
نهاية عبادة الأصنام وبداية عبادة الله الواحد الأحد،
فتحوّل العالم من الفجور والفسوق إلى الإيمان
وصدق التوجه، ومن الأنانية والتعصب إلى بث روح
المؤاخاة بين الناس بالتعاون والتضامن.

فحياة رسول الإسلام حافلة بمواقف تؤكد
هذا التحول، حيث سجّل التاريخ مؤاخاته بين
المهاجرين والأنصار حين قدومه عليه السلام إلى
المدينة المنورة، وإنهائه لحرب بين قبيلتين كبيرتين
دامت سنوات عديدة، وراحت بأرواح لا ناقة لها فيها
ولا جمل، ففي مُدارسة حياته وحياة أصحابه وحروبه
وغيرها حياة جديدة ودروس مفيدة وحكم بالغة.

الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم
بهذا المفهوم — عند المؤيدين — شكرٌ وذكورٌ لنعمة
الله على الناس قاطبة، بل يمثل الولادة الجديدة
للإنسانية في أتم وأرقى مستوى الفكر والنمو من
أجل لم شمل الناس وتطوير العلاقة ببعضهم البعض.
قال الله تعالى: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك
يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ آل عمران
103

علاوة على كونه إظهاراً لنعم الله، فإنه ولادة
القُدوة المثالية التي كانت مفقودة، والتي تتمثل في
شخصية سيّد ولد عدنان، ولادة منقذ الأمم من
التشتت والتفكيك، هذا الذي سيُنهي سيادة الظلم
على المساكين، وإراقة الدم دون حق شرعي ويقدم
للإنسان إنسانيته من احترام المرأة والصغار، وإعطاء
كل ذي حق حقه، إضافة إلى أن الحدث تحرّر من
قيود عبادة الأوثان إلى عبادة الله جلّ جلاله القائل
في محكم بيانه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله
كثيراً﴾ الأحزاب 21

يستند القائمين بالاحتفال على ضوء هذا المنطلق الذي
يعد من أسمى آيات الشكر لنعم الله على العباد،
حيث لم يكن الهدف من إرسال الأنبياء والمرسلين،

إلا تذكيرا للناس — وما أحوجهم — إلى من يذكرهم بهدف وجودهم وحق الله عليهم. أليس من أجل



تذكير الإنسان بواجباته وحق الخالق عليه لقَب العلماء بـ «ورثة الأنبياء». يقول الله تعالى: ﴿فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ الذريات 55.

نعم، ذكر المؤمنين بنبوتك وبتوحيد الخالق الواحد وبالأخوة الإنسانية وبضرورة نصرته الدين، والعمل الصالح، بل ذكر هؤلاء بأن هذا الإسلام أخلاق ثم أخلاق، يقول الصادق المصدق: ﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾. فكيف يكون هذا الرسول أسوة للناس، إذا لم يعرفوا حياته وتضحياته وغير ذلك من حياته؟

يبدو أن هذا الهدف من أرقى ما يسعى إليه الإنسان، وذلك ما جعل مسلمو العالم يحتفلون بقدوم هذا المنقذ ومجدد الأرواح والقلوب.

إلا أنه لم يسلم من المعارضة، إذ في نظر البعض - المنتقدين - الاحتفال بمولد النبي مرفوض بدعوى أنه محدث وبالتالي لا يجوز لأنه «بدعة» وبلغ الأمر عند البعض حد التحريم، حيث قالو: أنه لو كان فيه صلاح الأمة لقام به النبي عليه السلام أو

أمر به أصحابه. إلا أن أدلتهم وقولهم هذا قد لا يصلح أن يهدم أو حتى يجعل القائم به يشكك في ترك الاحتفال، إذ السؤال المطروح هو: هل عدم فعل النبي عليه السلام لأمر من الأمور تعني بالضرورة حرمة ذلك الأمر؟ وهل يجب أن يكون الاحتفال بشوب واحد يتفق فيه العالم برمته؟

فلاحتفال بمولد النبي عليه السلام مظاهر وأثواب، هذا يختم القرآن في اليوم بمرات ميسرة، ويقوم غيره بعدد من الصلاة عليه، وآخرون يوزعون أطيب الأطعمة على الفقراء والضيوف وفي السجون والمستشفيات وبيوت الأيتام وغيرها، وآخرون بمظاهر أخرى. صحيح أن هذه الأفعال الخيرية لا يرجى القيام بها مرة في السنة، ولكن لا يمنع القيام بها حتى ولو مرة في العمر المسلم القادر.

يبقى الاحتفال عند أصحاب هذا القول بين البدعية والحرمان، ويعتبرون القائمين به محدثين في الدين ما ليس منه على الإطلاق مهما اجتهدوا في الرد والدفاع عن الاحتفال. مع العلم أن أدلتهم لا يفوق القول بالبدعية وأن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يقوموا بذلك في حياتهم. ألم يصرح الرسول صلى الله عليه وسلم شكره واعترافه بنعم الله عليه، حين سئل صلى الله عليه وسلم عن سبب صيامه يوم الاثنين. وذلك عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: ﴿فيه ولدت، وفيه أنزل عليّ﴾. (1) أكيد أنه أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ألا يجب شكر الله على فضله هذا؟

يقول الشيخ الحاج مالك سه، رضي الله تعالى عنه:

وَعَامٌ ثُمَّ شَهْرٌ ثُمَّ يَوْمٌ
أَتَى فِيهِ الْهُدَى قَرْنُ الْقُرُونِ
سُرُورٌ فِي سُرُورٍ فِي سُرُورٍ
وَعِيدٌ دُونَ أَعْيَادِ الْعُيُونِ

إلى أن قال:

وَمَوْلِدُهُ بِهِ شَرَفٌ وَخَيْرٌ
فَفِي التَّعْظِيمِ أَنْجَاحُ الشُّجُونِ (2)

1- صحيح مسلم - كتاب: الصيام - باب: استحباب صيام ثلاثة أيام كم كل شهر، تحت رقم: 1162 / 3، صفحة: 168

2- سه، {الحاج مالك}: ري الظمان في مولد سيد بني عدنان، ص: 11



مؤتمر إسلامي لدراسة شؤون المسلمين الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها، والمهم أنه لا يمكن أن يُنظر كأنه عيد للأكل والشرب والتظاهر بالملايس الفاخرة وغيرها وإنما هو تعظيم بدراسة بعض من أبعاد حياة الرسول عليه السلام، ودراسة أحوال المسلمين ولم شملهم وتوحيد كلمتهم وهلم جرا. (5)

اعلم أيها القارئ، أن الغوص في غيابات الجدل والنقاش أو إلصاق حكم شرعي على هذه المناسبة قد لا يجدي نفعا، إذ أنه أخذ طابعا آخر في الآونة الأخيرة بين المنتقدين والمؤيدين وعلى كل حال، فإن الاحتفال بمولد النبي الشريف يوحى كما قيده وطبقه الحاج مالك سه رضي الله تعالى في حياته، إلى كونه حدثا ارتبط به ولادة إنسانية الإنسان، والحلقة المفقودة المتمثلة في شخصيته صلى الله عليه وسلم، بحياته وبتعاليمه، وبالمشروع الاجتماعي والسياسي كذا الديني المترامي الأطراف الشامل في التطبيق، الجامعة في التقييم والقياس، والتي قادها هذا القائد العظيم لرفع الإنسان إلى قمة الإنسانية وإلى أرقى الوعي، فيجب الاحتفال بقدمه شرط أن لا يكون نحو الحرام، إذ إنه لشرف وخير وفي التعظيم إنجاح الشجون. هذا وبالله التوفيق السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح مسلم
- سه، {الحاج مالك}: خلاص الذهب في سيرة خير العرب
- سه، {الحاج مالك}: ري الظمان في مولد سيد بني عدنان
- سه، {الحاج مالك}: قصيدة: «لقد هاج»
- جاي، {جغأ}: الطرق الصوفية وأثرها في الاستقرار الاجتماعي، الطريقة التجانية في السنغال أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الزيتونية، تونس، 2017/2018م
- الأستاذ الباحث: جغأ جاي
- لينكير - السنغال -

بتاريخ 2 سبتمبر 2023 / الموافق: 16 صفر 1445 هـ

- 5. جاي، {جغأ}: الطرق الصوفية وأثرها في الاستقرار الاجتماعي، الطريقة التجانية في السنغال أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الزيتونية، تونس، 2018/2019م، ص: 97 - 98

تعتبر ولادة النبي عليه السلام حدثا لا حدث مثله، إذ يمثل عند ابن عثمان عليهما رضي ملك المنان، تشريفا للجنس البشري، وإنقاذاً لأرواح فقدت الأمل في مسيرتها، وأخرى أصابها هرم وتلف بفعل ما ارتكبت هواها، وها فجأة وفي لحظة نالت ما كانت تروم منذ عهد خلّت، ألا يستحق ذلك الركون إلى الشكر مدى الحياة، يقول ويضيف:

أَتَى وَالْكَفَرُ فِي جَوْرِ وَظَلَم

فَقَادَ الْكُلَّ عَنْ دِينٍ لِلدِّينِ (1)

سيدرك المسلم الواعي بأن الاحتفال وإظهار السرور، ومحبة هذا المنقذ واجب يقول الحاج مالك في موقف غير الذي ذكرت:

وَوَاجِبٌ طَاعَةُ الْهَادِي مُحَبَّتُهُ

كَذَا اتِّبَاعُ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْأُمَمِ

لَهَا الْعَلَامَاتُ قَالُوا إِنَّ أَعْظَمَهَا اسْمٌ

—تَعْمَالُ سُنَّتِهِ فِي جُمْلَةِ الْأُمَمِ (2)

لا يشك المسلم بأن طاعة الرسول عليه السلام أمر رباني، والأمر يقتضي الوجوب، ولكن كيف يطيع أحد دون معرفته؟ وهل حبنا للرسول الأعظم يكفي لنعرفه فنطيعه على حب؟ يقول الحاج مالك سه رضي الله عنه:

وَلَيْسَ نَفْعٌ فِي حُبِّ بَلَا عَمَلٍ

وَتَابِعْنِ سُنَّةَ الْمُخْتَارِ تَغْتَنِمِ (3)

ومن الجدير بالذكر في نهاية هذه الوقفة أن هذه المسألة تبقى عند الكثيرين اجتهادية، وأنها ستبقى مشيرة للجدل ما بقي الدهر، فالشيخ الجليل الحاج مالك سه يحسم المسألة بصفة قطعية عندنا حيث يقول رضي الله عنه.

أَلَا عَظُمُوا لِنَيْلِ الْوَلَادَةِ حِسْبَةً

إِذَا لَمْ يَكُنْ نَحْوَ الْحَرَامِ عُدُولٌ (4)

ومن هنا يبقى هذا الأخير واجب من الواجبات شرط أن لا يكون نحو الحرام، في هذه الحالة يعد محرما، فعند الحاج مالك هذا الاحتفال بمولد النبي عليه السلام فرصة لاجتماع المسلمين كأنه بمثابة

1- المصدر نفسه، ص: 15

2- سه، {الحاج مالك}: خلاص الذهب في سيرة خير العرب، ص: 101

3- المصدر نفسه، ص: ص، ن

4- سه، {الحاج مالك}: لقد هاج - قصيدة مشهورة له رضي الله

تعالى عنه



توطئة:

أتى على الإنسان حين من الدهر لم يزل فيه بمسيس حاجة إلى نبراس أخلاقي؛ يهتدي به فيقود خطاه إلى بر الأمان.

ومن يمن الطالع، أن بعث الله من بني جنسه رسلا مبشرين ومنذرين، فلم تكن أمة على وجه الأرض إلا ولها من هذه البعثة نصيب مفروض، قال تعالى: « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير »⁽¹⁾.

1. التعليم

2. الوصية

3. المدح

على أن الإسلام إيمان وعبادة وسلوك، فإن سليل عثمان عنهما رضى الرحمان، شمر عن ساعد الجذ وركض خيل همته لرأب الصدع الأخلاقي في بلاده، فتتقل بين حواضر العلوم متنهلا ومتعللا ما شاء الله، وظل في هذه اللحظات كالنحلة بين الخمائل الخلابة تأخذ عسلها من كل زهرة!



المنهج الإصلاحي في التراث المالكي؛ أضواء على أبعاد ثلاثة

لم يكن ينتهج في تعليمه منهج شحن أو تلقين، وإنما وضع لنظامه التربوي دعائم وأسسا يمتاز بها خريجو مدرسته الوافدون من كل فج عميق، مستشرفا مصائر عصره ومآلاته، ناقدًا تراث المجتمع الأرستقراطي أتباعا ومتبوعين.

أثر الشيخ الحاج مالك سي المنهج التوعوي لصقل الأذهان والمواهب الفردية، فاستطاع بحنكة ودقة متناهية إرساء منظومة إصلاحية ضربت جيرانها في مختلف ربوع السودان الغربي.

إن هذه الرسالة الإصلاحية تبدو بجلاء في تراثه التعليمي أكثر منه في غيره، فقد أثر الإصلاح الداخلي والخارجي معا، ولا وسيلة أسرع وقعا في العقول من التعليم، فيه تتحرر العقول وتتقل الشعوب من هامش التأثير إلى متن التأثير.

يقول عبد القادر سلا: « ويمتاز هذا الشيخ بأنه اهتم بتكوين أتباعه فكريا لذلك كانت زاويته مركز إشعاع ثقافي عام »⁽³⁾.

ينبني هذا الوصف على رجل سبق عقله زمانه وكان بدرا في الليل الأهم، تدارك بالتعليم شعبا كان على شفا حفرة من الانحطاط الروحي علما وسلوكا، فإذا به يتولد الدواء من ذلك الداء العضال والجرح النزيف.

يُعج تراثه الشعري بسلاسل من ذهب، يتضح

توالت بُشرى هذه الرسائل بأيدي العلماء، فحملوا رايات الإرشاد على طبق من ذهب، وأناخوا بمطيتهم مشارق الأرض ومغاربها، ليعلموا الأجيال من هدي الرسول ما يُنال به السؤل.

يقول أحمد شوقي في تربية الأجيال:

فرب صغير قوم علموه

سمى وحمى المسومة العربا

وكان لقومه نفعا وفخرا

ولو تركوه كان أذى وعابا

فعلّم ما استطعت لعل جيلا

سيأتي يحدث العجب العجبا⁽²⁾

لقد حدث هذا العجب العجيب بالشيخ الحاج مالك سي الذي قام بتنشئة أجيال واعدة تحمل شعلة التهذيب الأخلاقي، فكان مرآة عاكسة لهدي الرسول ﷺ في جميع أبعاده.

تناول بالدراسة والتحليل حياة محمد ﷺ من حيثيات متبينة، يزداد قارئ تراثه إعجابا كلما قلب صفحة من ذلك التراث أو استزاد، ما حدا بنا إلى تسليط أضواء على أبعاد ثلاثة من هذا الموروث كما يلي:

١ (فاطر، الآية ٢٤).

٢ (شوقي، أحمد، ديوان الشوقيات، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2012م، ص 96).

٣ (سيلا، عبد القادر، المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، ط1، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، 1406هـ، ص 173).



يشهد شاهد من أهلها قريبا، بل ولد لا يزال سرّ أبيه، فالحاجّ مالك مود الحفيد يتلمّس في هذه الرائحة جوانب خالدة من هذا المشروع الإصلاحيّ، موضحا أسلوب الجّد في رسم معالم الطريق ونفض الغبار من رفوف الأذهان.

لا شكّ أنّ مرحلة انجارد وإن جادت بكوار ورموز معرفيّة، فقد أخلّتها مرحلة تواون الحافلة بتجهيزات استراتيجية، إذ تبسّم في وجهها بوارق الأمل والشيخ الحاجّ مالك في مغرب حياته.

وأما الوصيّة فقد نالت من تراثه الإصلاحيّ مكانة مرموقة، إذ لا يكاد يقصّد قصيدة إلا وقريحته السّيالة تحذو حذوها، حماية لبيضة الإسلام وحرصا على سعادة الأفراد.

يقول في زجر الاختلاط بين الجنسين:

جلوسكم في ذلك البيت حرام

بلا خلاف جاءنا من الكرام

إذ ذلك الجلوس دون إذن

من ربّنا الحقّ العظيم الشّأن⁽⁵⁾

يشحذ بهذه القطعة همّة قوم اعتادوا الاختلاط بالنساء، فأكد لهم تحريم تلك العادة بأسلوب صّراح، لعلهم سينزجرون بهذا الإرشاد مراعاة لحقوق الله.

وله في وصيّة إلى ابن عمّه:

محمّد يا ابن عمّي أحمد العلم

خذ الوصيّة ذي في ضمنها الحكم

أوصيك تقوى وتقوى الله أفضل ما

ترومه عند ربّي من له القِدم

فاتّق إن رمت علما أو تريد نجا

ة أو تريد كرامات فتغنم

وغمض العين واخضع وامدّد عنقا

تحت المقادير لا تسأل فتظلم⁽⁶⁾

تفوح هذه القطعة بمعان سامية تجمع بين الأصالة السلوكيّة والحداثة التعلّميّة، فلم تكن ذاتها جديدة في معترك التهذيب والتّشعّ، لكنّ الشيخ أسقاها ماء الحياة، فاكسبت مدلولات أخلاقيّة، اتّقدت بها أرواح أتباعه رجالا ونساء.

(5) سي، الحاجّ مالك، ديوانه، ط1، ج7، (د-ت) لجنة البحث والمراجعة، دار أبي رقرق، الرّباط - المغرب، 2021، ص36.

(6) المرجع السابق، نفس الصّفحة.

بها تضلّعه في نظم العلوم وتسهيلها حفظا وهضمًا، أشار إلى ذلك الشيخ الهادي توري أحد تلاميذته فقال:

مدّرسا كل علم كان مندرسا

بين المدارس بيضانا وسودانا⁽¹⁾

ويشير سليله محمّد المنصوري لذلك قائلا:

وبعلمه وببذله نال المّقا

م وعدله في السرّ والإعلان⁽²⁾

بهذا الأسلوب الموسوعيّ استطاع الشيخ الحاجّ مالك أن يخلق أجواء علميّة خلق في سمائهما فطاحل العلم ورموز الإصلاح، انتشروا في العالم طولًا وعرضًا، يقتحمون حصون الجهالة والنّذالة، ليبيّنوا للناس نواميس الدين الإسلاميّ.

إنّ المرحلة السّباعيّة في انجارد (Ndiarn-dé) تمثل النّواة الأولى من كوكبة ذات تشكيلات فنيّة وتخصّصات معرفيّة خطّيرة، خلّدت - عبر التاريخ - أركان الصّرح العلميّ الذي كان الحاجّ مالك قد أرساها.

يقول الباحث منصور جوب: «آل من آل يعقوب إلى وطنه المحبوب متنقلا بين اندر، ودكار، وانجارد، ومن هذه الأخيرة كانت رحلته لأداء فريضة الحجّ سنة 1888م، بعد أن ظلّت قلعة معرفيّة تخرّج فيها أربعمئة وعشرون عالما، صارت أخبارهم حديث الرّكبان»⁽³⁾.

تتعاقب الدّهور والليالي والشيخ مصير على إتمام مشروعه العلميّ، فإذا بأرض تواون غلة علميّة لا ترتوي إلا بزلاله، وكأنّ لبننة ما كانت ناقصة من بنيانهم، ثمّ يأتي - بعد حين - فيسدّ مسدّها.

تستغرق هذه المرحلة عشرين سنة دأبا، كانت كتائب التّحصيل تأتيه من كل فج عميق، أحدث المصلح الحاجّ مالك خلالها تجديدا عميقا، جمع فيه بين التّربيّة بالهمّة والدّرس معا.

يقول حفيده وسميّه مود سي الدّباغ:

وفي انجارد بل قل في تواون بعدها

بنا بيت مجد خالد متوطّد⁽⁴⁾

(1) توري، الهادي، ديوانه، بدون تاريخ، ص61.

(2) سي، محمّد المنصور، ديوانه، بدون تاريخ، ص4.

(3) الخصائص الفنيّة في مدائح الصّوفيّة «تواون مدرسة»، رسالة مستر2، جامعة شيخ أنت جوب، دكار، إعداد الطالب منصور جوب، 2020 م، 2019 ص55.

(4) القصيدة للشيخ الحاجّ مالك سي ابن عبد العزيز سي الدّباغ، زاوية تواون.



القيامه شفاعة من عند الله.

ويقول في صدد آخر:

مدحنا المصطفى مزنا عجيبا

ليغفر لي الغفور بيوم دين⁽³⁾

تحتوي هذه الأماديح على رسائل سلوكية افتض بها الشيخ أكار المعاني واقتحم حصونها، ذلك لأن هذا الأسلوب التقريري يوضح مقدار ما وصل إليه الحاج مالك في الامتثال بالممدوح والاحتذاء به.

ثم تمضي هذه السلاسل الذهبية والشيخ يشق طريقا إلى ضربة ختامية يكلل بها خلاصه، لينقل القارئ من صور بديعة إلى ما هو أبعد وأمرع، جامعا في ذلك أشتات ما نسج الأقدمون من سير ومغاز وشمائل، يقول في خاتمة خلاص:

يا من أتم خلاصي فائقا دررا

قد زينت سيرة من خيرة النظم⁽⁴⁾

أجل، إنها السيرة النبوية العطرة على صاحبها أفضل صلاة وسلام، قضى الشيخ الحاج مالك في نظمها شطرا من أيامه الغالية، رمى بذلك النظم رمية واحدة؛ فأصاب مقاتل الأجيال المتعطشين لفهم أخلاق الرسول ﷺ.

إن هذا المنهج الإصلاحي في التراث المالكي لجدير بالاهتمام دراسة وتحليلا، ذلك لأن الغزو الفكري الذي قد داهمنا وحلّ ديارنا، لا ينشئ إلا بديل منهجا وإصلاحا، يقول الشيخ الحاج مالك:

مفتقر بمفتقر ينادي

بضعف ضعفه في كل حين⁽⁵⁾

بقلم منصور جوب
طالب باحث في جامعة شيخ أنت جوب
في سلم الدكتوراه

يستهل الموصي وصايته بتقوى الله زاد كل عبد وبُعيتة، معقبا إياها بالآثار المترتبة على ذلك العمل من خيور جسام كالعلم والنّجاة، ثم تأتي ضربة الختام الشّيقة في أمر ابن عمّه بإغماض العينين والخضوع لما يريد الله ويقضي به.

يأتي المدح ثلاثة الأثافي من تلك الأبعاد الثلاثية، تفرّد فيه الشيخ الحاج مالك صورة وأسلوبا، ويكاد دارس تراثه المديحيّ يصطدم بركام شعريّ هائل، يقوّي في نفسه شهوة النّهم المستزيد، ثم لا يدري أيّما الأجلين يقضي في قراءته وهضمه.

تتلاحق صور الإبداع في هذا البعد الإصلاحيّ متألفة بخرائد المعاني، وليس هناك أدنى شك في كون مفعوله أسرا يسحر العقول النّيرة إن لم يصبها وابل فطل! فكم من وصيّة طابت بها أنفس وعظمت؟

يصفه جورتي سيسي بقوله: «هكذا يعرض الحاج مالك سه أفكاره... ذلك لأن الحاج مالك سه كان مثقفا ثقافة واسعة بشكل يخيّل إليّ من يقرأ مؤلفاته أنّه لم يترك كتابا في عصره إلا أنّه طالعه واستوعبه ووعاه وهذه الحقيقة هي التي يمكننا ملاحظتها في خلاص الذهب»⁽¹⁾.

يجسد خلاص الذهب أرقى ما وصل إليه العقل السنغالي في نظم سيرة الرسول ﷺ وتعليمها، فقد ضمّنها النّاطم وحدات إبداعية، أشار من خلالها إلى أخلاق تقمّمها شخصية لا مثيل لها تحت أديم السماء.

يقول في ذلك:

من كل وصف حميد حاز أفعل تف

ضيل رجاء البرايا يوم مزدحم⁽²⁾

ففاق بهذه المدحة من سبقوا في حلبة المديح النبويّ، حين قيّد بهذا البيت الوحيد أوبد ما قالوه من أمداح، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأنّ الشيخ الحاج مالك تحلّى بهذا البيت برودة مجد لا يبلى، وأعلى صوته في كل ناد من نوادي المديح النبوي!

إنّه مدح لا ككلّ، بل أسلوب سلكه الحاج لإثارة خوالج المخاطب وحمله إلى الاقتداء بالممدوح قولاً وعملاً، ثمّ يتعقب هذا التصريح بإيحاء رامز إلى درجة من يمدح، إذ به يرجو الناس طرّا يوم

(1) سيسي، جورتي، السنغال والثّقافة الإسلاميّة، ط1، دار شمس المعرفة القاهرة - مصر، 1989م، ص 49

(2) سي، الحاج مالك، خلاص الذهب، منشورات معهد الشيخ الحاج مالك للدراسات الإسلاميّة والبحوث العلميّة، بدون تاريخ، ص 250.

(3) سي، الحاج مالك، ريّ الظّمان في مولد سيّد بني عدنان، بدون تاريخ ص 22.

(4) المرجع السابق، ص 268.

(5) نفس المرجع السابق، ص 11.



رحمة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم من وحي كتابات الشيخ الحاج مالك سي

ويقول أيضا:

يسر لنا إسوة يا رب في الإمام⁽²⁾

وسطر البيت تضرع إلى الله - الذي لا سهل إلا ما جعله سهلا - لتيسير الأسوة في رسول الله في جميع الحالات التي عددها قبلا، وتجلت فيها عظمة خلق رسول الله وأدبه الجرم مع الكون، والإنسان، والدواب، والحيوان.

وفي الرائعة أيضا نراه وفي نفس السياق - وكأنه - ينصح بالدرجة الأولى قارئ هذه السيرة أن يكون بدوره مؤتسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأخلاقه وذلك في سطر هذا البيت:

فكن به آسيا في الفعل والشيم⁽³⁾

وفي موضع آخر ينقلنا الشيخ من أن يكون هذا الاقتداء مجرد فكرة، أو وعي، أو دعاء، أو لفت نظر القارئ إليه - ينقلنا من هذا المستوى - إلى ما هو أرقى وأعلى همة؛ ألا وهو مستوى «نية» تحقيق هدف الأسوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كل فعل وسلوك يصدر عنه قلبا وقلبا، مقرونة هذه النية بالاستغفار، والتوبة من كل قول أو فعل خالف فيه سنة الرسول المرتضى.

وفي هذا المنحى يقول:

وكما أفعله نويت فيه

أسوته صلى عليه مصطفىه

مستغفرا وتائب ما مضى

ولم يوافق ما عليه المرتضى⁽⁴⁾

والحق أن هدف تجديد ربط الأتباع بالقودة الأعظم في مناسبة الاحتفال بالمولد، لم يغيب قط عن بال الشيخ الحاج مالك سي - رضي الله تعالى

مقالة بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي بتواوون عام
1445 / 2023 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

اللهم صل وسلم على من أرسلته رحمة للخلق أجمعين
الرؤوف الرحيم بالمؤمنين.

المقدمة

**السيرة، والمديح، والمولد النبوي، في فكر
الشيخ الحاج مالك سي**

الهدف المنشود من دراسة السيرة وإحياء المولد وإنشاء أو إنشاد المديح النبوي وسرد صفاته الخلقية والخلقية في المجالس والمحافل - الهدف من هذا كله - هو التعرف على فضائل وشمائل وكمالات الرحمة المهداة والنعمة المسداة تعرفا؛ يورث المحبة والطاعة والأسوة بأخلاقه العظيمة - صلى الله عليه وسلم.

وحينما نقرأ للشيخ في كتاباته عامة، وفي مجال السيرة والمديح خاصة، والذي أبدع فيه أيما إبداع بدرجة تعكس سعة وعمق معرفته بالنبي، وحبه إياه - حين نقرأ له - ندرك أنه لم يشذ عنه أبداً بين ثانيا هذا الإبداع تسجيل وعيه ب«ثمرة الأسوة الحسنة الكامنة في شخصية رسول الله للأمة»، الواجب جنيتها من وراء هذه الجهود العلمية والملتقيات

فعلى سبيل المثال لا الحصر

يقول في ختام رائعته المعروفة باسم «خلاص الذهب في سيرة خير العرب» التي - كما يدل عليها اسمها - وفق فيها بكل المقاييس أيما توفيق:

كما وهبت لنا ترتيب سيرته

فهب لنا الاقتدا يا هادي التهم⁽¹⁾

وهذا دعاء بأن يهبه الله حسن الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم مثلما وهبه ترتيب سيرة النبي المصطفى في هذه الرائعة كما وكيفاً

1 - مجمع الكنوز العلمية والمعادن العرفانية من ديوان العلامة الشيخ الحاج مالك سي عليه رضا المالك - ص: 204 المجلد الثاني - طبعة 1443 هجرية/ 2021 م - دار أبي رُقراق للطباعة والنشر - الرباط.

2 - نفس المرجع السابق ص 203.

3 - نفس المرجع السابق ص 204

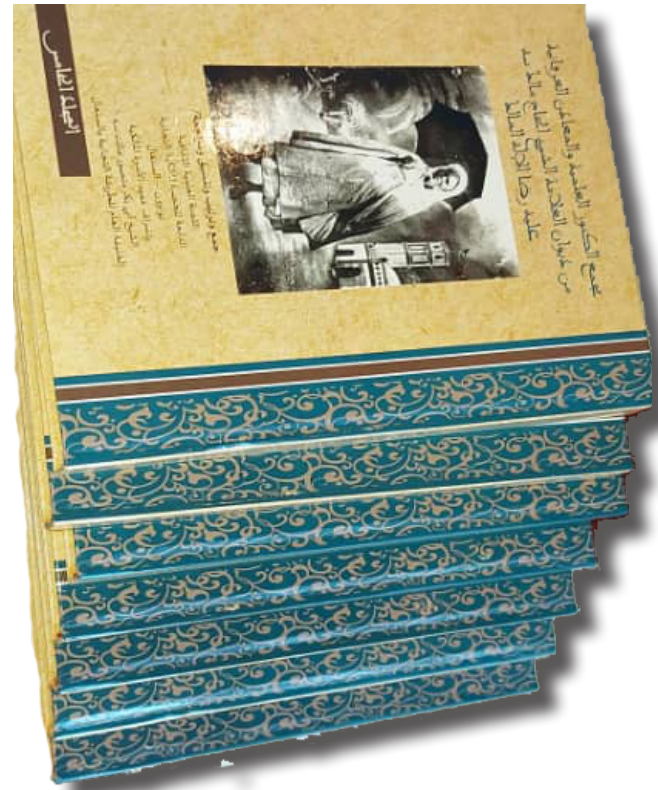
4 - نفس المرجع السابق م 7 ص 133.

عنه - لما أهاب بالقوم في البيت المشهور
ألا عظموا ليل الولادة حسبة.

إذا لم يكن نحو الحرام عدول⁽¹⁾

فإن هذا البيت يحمل في طياته صور مبادرة
طيبة يحتذى بها؛ بل هذا جذوه فيما بعد، الجرم
الغفير، والخلق الكثير من الأئمة.

وعلاوة على ذلك؛ هو دعوة حكيمة من مجدد
للدين إلى تعظيم ليلة المولد النبوي شريطة أن تدور
في إطار سنة صاحب الذكرى العطرة.



وتأسيساً على كل هذا، ندرك بجلاء أن الشيخ
حين يدلي بدلوه بالتأليف في السيرة والمديح، وبجعل
الاحتفال بالمولد الحدث الجلل الأوحد للمدرسة،
كانت نظريته التجديدية الثاقبة تتخطى حدود جودة
السبك وعرض الأحداث والأمجاد المجردة من العبر
والدروس؛ كلا، وألف كلا، ولا مجرد تجمع الحشد
الكبير من الأتباع، من أقصى البلاد إلى أقصاها؛ بل
هذه الأثافي الثلاث - السيرة والمديح والمولد - في
التعريف بالمقام المحمدي، كانت بالنسبة إليه وسائل
ناجعة لتوثيق عرى مودة الأحاب والأتباع بالقُدوة
الأعظم، وتجديد وتوطيد مبادئ الأسوية به.

1 - نفس المخرج السابق م 1 ص 192

وفي هذه المقالة - أيها القارئ الكريم - نود
أن نلم إلمامة برياض تراث الشيخ الحاج مالك سي
- رضي الله تعالى عنه - العلمي؛ لنقتطف منها
زهرات فيحاء نستنشق منها النوافح العطرية لشميلة
من شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وهي:

خصلة الرحمة المحمدية؛ هذا مع العلم
والإقرار بأن شميلة واحدة له صلى الله عليه وسلم
لا يمكن لأي باحث؛ بله عن كاتب مقالة أن يوفيها
حقها لأنها - كما وصفت السيدة عائشة رضي الله
تعالى عنها: «كان خلقه القرآن» -

لا يبلغها العد، ولا يستقصيها الإحصاء حقاً؛

أيها القارئ الكريم:

لقد استرعى انتباهي وأنا في صدد إعداد
المقالة أمور ثلاثة:

الأول: هو أن صفة الرحمة الجمالية؛ التي
وصف الله بها تعالى صِفوة رسله إلى خلقه مرة،
وحصر بعثته فيها ثانية، في قوله: (وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين)⁽²⁾ وفي قوله: (لقد جاءكم
رسول ... بالمؤمنين رؤوف رحيم)⁽³⁾. هذه الصفة هي
أول نعت نعت - سبحانه - به نفسه في مطلع فاتحة
الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم» وذلك بعد أن
عرفنا بالاسم العلم على الذات العلية «الله».

الامر الثاني: وصف مكارم أخلاق، ومحاسن
شيم من دل الخلق على «الله» وعلمهم «لا اله إلا
الله»، وطبق بين ظهرائهم القرآن الكريم تطبيقاً
حياً رائعاً، بالعظمة، وبأسلوب لم يعهده العرب في
كلامهم فقال: (وإنك لعلی خلق عظیم)⁽⁴⁾

الأمر الثالث: تكرر «الرحمة» ومشتقاتها في
الذكر الحكيم المنزل على النبي 326 مرة⁽⁵⁾ فضلاً
عن النصوص النبوية التي تأمر بالرحمة وتبشر
الرحماء؛ وتحذر من القسوة والفظاظة في التعامل
مع الإنسان والكون والدواب.

فوصف ذات صاحب الرسالة بالرحمة، أولاً
والخلق المنجس من هذا الذات بالعظمة ثانياً، في
ذلك إشارة إلى أنه لا يوجد انفصام بين شخصيته
النظرية والتطبيقية لهدي الرسالة؛ فهما كالحلقة
المفرغة لا يدري أين طرفاها.

2 - سورة الأنبياء - الآية: 107

3 - سورة التوبة 129

4 - سورة القلم الآية 4

5 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.



ظهوره في عالم الشهادة الحاضرة للشخصية البشرية الرسولية التطبيقية للرحمة العامة للعالمين والخاصة بالمؤمنين المشار إليهما في بيت للشيخ سنعرضه في محله⁽²⁾

ب - الشخصية في عالم الملك والشهادة:

هذه هي شخصية سيدنا محمد «البشر الرسول» أشاد الشيخ برحمته صلى الله عليه وسلم في هذا العالم عالم الملك، عالم الأمر والنهي، وهو قرآن يمشي فوق الأرض كما قال: وكان خلق نبي الله... وهذا يتجلى في نوعين:

النوع الأول: هو الرحمة العامة لكل العالمين، رحمة اتسعت غير المسلمين في المجتمع الإسلامي في «دار الإسلام» وفي «دار الحرب» وبينت بها حقوق الحيوان رفقا، وحثت على الغرس والزرع للأشجار والنبات وحماية البيئة.

ودليل هذه الرحمة التي تعم البشر جميعا والكون كله هو الآية التي تقدم إيرادها: (وما أرسلناك إلا رحمة العالمين)

القسم الثاني:

الرحمة الخاصة بالمسلمين على مختلف درجاتهم الإيمانية ومستوياتهم الفكرية والسلوكية؛ فكان رحيمًا بأمته تمام الرحمة، والدليل على هذا، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما؛ فما جعل الله له علينا في الدين من حرج لا في العبادات ولا في المعاملات؛ رحم الأعرابي الجاهل الذي بال في المسجد، وتلطف بالصغير [يا أبا عمير ماذا فعل النغير] و... والى هذا النوع من الرحمة ترشد الآية (لقد جاءكم رسول... بالمؤمنين رؤوف رحيم)

ولقد أصاب الشيخ سهم وصف النبي بهاتين الرحمتين: العامة والخاصة برمية بيت، يقول في الرائعة الميمية:

والله أرسله للعالمين هدى

ورحمة اذ مضى جزل بلا وهم⁽³⁾

فلفظة «هدى» في السطر الأول تتوجه للرحمة الخاصة بالمؤمنين لأنهم المستفيدون حقا بهذه الرحمة؛ التي ثمرتها الحقيقية هي المعرفة بالله والهداية.

وذلك أننا - أنا وأنت أيها القارئ - كثيرا ما نفاجأ ببعد الشقة والهوة بين هاتين الشخصيتين لمن هم عادة على مراكز المسؤولية والنفوذ من عالم أو قدوة؛ وهذا أمر منكر يخل بمصداقية الأمانة والأسوة إلى حد كبير. قال تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)⁽¹⁾

ولعلك - أيها القارئ - تلاحظ في الآية الاستفهام الإنكاري، لهذه الفجوة بين النظرية والتطبيق، والتوبيخي لغياب تحكيم العقل الرباني في السلوك الإنساني

وورود لفظ الرحمة بهذا الرقم، مما يزيد لها شرفا وتيها بين أسماء الله الحسنى التي تحوم حول هذا المعنى مثل: الرؤوف والحليم والغفور والصبور، فضلا عن أضدادها مثل المنتقم والجبار وغير... الأمر الذي يعد دليلا يفهم سبق رحمته التي يجسدها النبي المصطفى لغضبه.

أيها القارئ الكريم:

إن قصة الشيخ الحاج مالك مع هذه الرحمة المحمدية قد اتسمت بالشمول والاستيعاب؛ فهو يقص علينا أحسن القصص عنها ويتبعها ابتداء من عالم الغيب (الأرواح) ومرورا بعالم الشهادة، والعالم البرزخي، وانتهاء بعالم الآخرة.

وإليك بيان ذلك بشيء من الإيجاز غير المخل في إطار شخصيات أربع:

أ - الشخصية في عالم الأرواح:

مرت شخصية سيدنا «محمد النور» بطورين هما في غاية الأهمية في التأهيل للرسالة.

الطور الأول:

احتجاب شخصية النبي المعروفة باسم «الحقيقة المحمدية» في اثني عشر حجابا نورانيا صرفا.

مر خلالها بحجاب اسمه الرحمة؛ الذي كان ذكره فيه: «سبحان الرؤوف الرحيم» مدة ستة آلاف سنة - عند ربك - انصبغ في إثرها النور الأحمدى بالرحمة والرافة

الطور الثاني:

سباحة وغوص الشخصية هذه في أبحر عشر منها ما يعرف أيضا؛ ببحر الرحمة الذي بالسباحة والغوص فيه صار رحمة للعالمين. وهذا كله قبل

1 - سورى البقرة الآية 43

2 - نفس المرجع السابق م 2 ص 191

3 - نفس المرجع السابق م 2 ص 63



فهو حريص كل الحرص - والنبي التحق بالرفيق الأعلى - على المدح بالرسالة وهدفها: الهداية، وإطارها: الرحمة تعبيراً وشهادة بأنه حمل الأمانة، وأدى الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين.

ج- الشخصية في الحياة البرزخية يقول الشيخ:

إن الممات ومحيا البدر مرحمة

أماتنا الله في هدي الرضى الكرم⁽⁶⁾
فحياته رحمة وهذا امر مشهود وواقع معاش، وأما رحمته وهو في بطن الأرض فهي محل التساؤل؟ فجاء الجواب من عند الشيخ بقوله

تبان أعمالنا يوم الخميس له

ويوم الاثنين في استغفار ذي الجرم⁽⁷⁾
يرى الشيخ أنه لما التحق النبي بالرفيق الأعلى وورث جثمانه الشريف في بطن الأرض لم تكن هذه الحالة حيلولة دون وصول مدد رحمته الخاصة للمؤمنين؛ فهناك يحيى - صلى الله عليه وسلم - حياة برزخية تعرض له فيها أعمالنا كل يومي الخميس والجمعة؛ فمظهر رحمته هنا هي: الاستغفار والاسترحام للمذنبين

د- الشخصية في عالم الآخرة:

أما الرحمة في الآخرة فلها مظاهر منها: فهو أول من تنشق عنه الأرض، - وإن لم تنشق عنه فلا بعث-، وأول الشافع والمشفع في المحشر، وصاحب اللواء المحمود، والحوض المورود وغير... وفي هذا يقول

صل على رحمة الدارين سيدنا

روح الوجود وسر الذات يا الله
إلى هنا أيها القارئ تنتهي المقالة إسهاماً نعتبره متواضعاً جداً في إبراز رحمة نبي الرحمة من كتابات الشيخ الحاج مالك سي، لكنها جهد المقل.

بقلم الإمام الحاج مالك فال البيري التواووني

مدير معهد قاضي عمر فال في بير

وقد صرح بهذا في غير ما موضع معدداً صوراً عن هذا النوع في مثل:

وهنا الذي قطب عزيز مطهر

رؤوف رحيم شافع ووصول⁽¹⁾
وأما الرحمة العامة المهداة للعالمين أجمعين أكتعين فهي المشار إليها في بداية السطر الثاني بعبارة «ورحمة»

وعبر عن هذا بصورة أوضح ناظماً:

الرحمة المهداة للأكوان

سبحان ربنا العظيم الشأن⁽²⁾
وفي منظومة وسيلة المنى في نظم أسماء الله الحسنى يورد:

تموج البحر بحر الذنب يا ثقتي

وإنني رب خفت الغرق يالله
وما السفينة ترجى غير رحمتك الـ

عظمى العميمة كل الخلق يالله⁽³⁾
والله يشهد أنني - أثناء البحث - لما وصلت إلى هذا البيت توقفت وترددت كثيراً فيما هو المقصود من «الرحمة العظمى العميمة» حتى وصلت إلى بيتين يصلي فيهما الشيخ على النبي واصفاً إياه صراحة بأنه «الرحمة العظمى» بقوله:

ثم على الرحمة العظمى سعادتنا

والآل والصحب سحب الخير من رشدوا
صل وسلم سلاماً دائماً أبداً

يا الله يا بر يا رحمان يا صمد⁽⁴⁾
ومن هنا زال التوقف فتقدمت وانقشع التردد فأيقنت أنه - صلى الله عليه وسلم - هو المعني بالرحمة العظمى العميمة لكل الخلق.

وهكذا ظل الشيخ يصف النبي بالرحمة تصريحاً وكناية كلما اقتضى الموقف - وبالدرجة الأولى - في الرائعة الميمية. ونجده - رضي الله عنه - يضفي عليه هذه الصفة مع نظيرتها التي هي الهداية وهو متوفى مسجى على فراش الموت وفي هذا يقول:

وبعد ما بايعوا الصديق قد عزموا

على جهاز رسول مهتد رحم⁽⁵⁾

1 - مرجع سابق م ص 191

2 - مرجع سابق ص 151

3 - مرجع سابق ص 98

4 - مرجع سابق ص 98

5 - مرجع سابق ص 207

6 - مرجع سابق ص 191

7 - نفس المرجع والصفحة.

المولد النبوي الشريف وأبعاده

إنه بيت عظيم يضع المسلم الذي يرد مدينة تواون المحروسة العامرة لغرض إحياء المولد النبوي الشريف أمام حقيقة، ربما غفل عنها في خضم الذكرى، وهي أن تكون رحلته كلها لله سبحانه وتعالى، وفق نهجه وهديه - صلى الله عليه وسلم - يتقفى فيها أثره، بعيداً عن كل حرام، أو سلوك منحرف، فلا يستعير منهجاً آخر لسلوكه، ولا لمعاملاته، لأن حياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - تكفي سلامة وسعادة للبشرية جمعاء، كما يتجلى ذلك في أبياته - رضي الله عنه -:

هُوَ سِرُّنَا هُوَ نُورُنَا هُوَ مَجْدُنَا
وَهُوَ الْمُشْفَعُ عِنْدَ يَوْمِ خِصَامِ
وَسَعَادَةٍ وَأَمَانَةٍ وَمَكَانَةٍ
وَمَفَازَةٍ غَنَمٍ وَخَيْرِ إِمَامٍ
مَنْ قَالَ مِثْلُ الْبَدْرِ يَا جَهْلًا لَهُ
أَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ نُورِ طَبِّ أَثَامٍ
إِنَّ النِّعَامَةَ فِي اتِّبَاعِ نِعَامَةٍ
تَبِعَتْ نِعَامَتَهُ مُرِيدَ سَلَامٍ^(١)

أي إن النعمة أي السلامة في اتباع نعمة أي جماعة تبعت نعامته أي طريقته؛ أيًا مريد سلام. وبعبارة أخرى، إن الجيل الذي تلقى الرؤية الربانية في أول مرحلة من مراحل حياة النبي سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - صاحب الوحي الإلهي، المنشئ لكل معرفة، هو الجيل الفريد، الذي صنع مع سياسة الرسول أعظم تاريخ، وأظهر حضارة إنسانية، عرفها الكون على مر العصور.

وعلى أساس هذا المنهج، وعلى منوال الصحابة - رضي الله عنهم - كان الشيخ الحاج مالك سي - رضي الله عنه - يسعى، وقصده الوحيد أن يُورد أتباعه النبع الأصيل الذي استقى منه أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ لتستقيم أرواح المريدين المحتفلين، ونفوسهم لله وحده، ولتكون قلوبهم بعد مرحلة التكوين خالصة للتفكير والتدبر، والتصور والشعور، والنية الصالحة؛ فيصدر منهم

3- القصيدة الكاملية في مدح خير البرية، المشهورة بـ {أبدا بروق...}

الحمد لله الذي نبه الإنسان بنور العقل والعلم من غفلة الكرى، كي يستطيع تحمل الأمانة الكبرى، وصلاة الله وسلامه على سيد الوري، محمد الذي أتى وسرى، وعلى آله وأصحابه



أولي المقامات دنيا وأخرى، وبعد:

فإن ذكرى المولد النبوي الشريف بمدينة تواون، التي أسسها الشيخ الحاج مالك سي - رضي الله عنه - رحلة إيمانية، تنطلق فيها أفئدة المؤمنين من قيود الحياة النفسية، وجواذب المادة، إلى ميادين الإسلام الرحبة، ومعادن الإيمان الخصبة، ومنابع الإحسان الضخمة، بالانقياد لأوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيها.

لقد كانت موسماً منظماً مصوناً من كل شائبة وانحراف، ارتكمت فيه أبعاد من نواح متعددة، تعليمية، وإرشادية، وعبادية، وروحية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية، وكل ما في هذا الموسم من أوقات يصرف في طاعة الله تعالى وعبادته. وذلك تحقيق واقعي لأهم حكم ذكرى المولد النبوي الشريف وأهدافها؛ لأنها رحلة تربط العباد بقدوتهم العظمى، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي قال الله تعالى في حقه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} ^(١).

فالمسلم الذي راح يسأل ويتحرى أن تكون رحلته كلها وفق الهدى النبوي الكريم، ينبغي له أن يتأسى به في كل مرحلة من مراحل سفره الروحي التعبدى؛ ليكون ذلك خير زاد عند عودته إلى حله. وإلى ذلك يشير الشيخ الحاج مالك سي - رضي الله عنه -:

أَلَا عَظُمُوا لَيْلَ الْوَلَادَةِ حَسْبَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَحْوَ الْحَرَامِ عُذُولُ^(٢)

1- الأحزاب، 21.

2- قصيدة الدر اليتيم والجوهر الجسم.

28 العدد: مجلة علمية دينية، العدد 9، السنة 2023



أحسن السلوك، وأفضل التصرف.

وعليه، فهذه الصفحات التالية ذريعة نريد من خلالها تسليط الضوء على أبعاد الاحتفال بمولد سيد بني عدنان، أبعاد نستقيها من أنماط الفكر والإنتاج الأدبي للشيخ الحاج مالك سي- رضي الله عنه- التي ما زالت الركائز المثيرة لهذا الاحتفال، كما أقر ذلك سميهِ الأديب الشيخ الحاج مالك سي الدبّاغ في قصيدة مدحه بها، وهو يقول:

فَذَاكَ ابْنُ عُثْمَانَ الَّذِي عَاشَ طَيِّبًا
وَمَاتَ حَمِيدًا سَائِرًا نَحْوَ أَرْشَدٍ
فَذَاكَ الَّذِي أَمْضَى الْحَيَاةَ مُجَاهِدًا
بِإِصْلَاحِ مَا فِي الْعَصْرِ مِنْ كُلِّ مُفْسِدٍ
فَذَاكَ الَّذِي قَادَ الْأَنَامَ مُرَبِّيًا
حَكِيمًا سِيَاسِيًّا بِأَسْلَفٍ مَقُودٍ
وَجَعَلَ حَيَاةَ الْبَدْرِ خَيْرَ سُلُوكِنَا
بِهَا نَسْتَقِي أَنْمَاطَ خَيْرٍ وَنَجْتَدِي^(١)

وتتفرع تلك الأبعاد إلى: البُعد التعليمي والإرشادي، والتعبدي، والروحي، والاجتماعي، والسياسي والاقتصادي والثقافي.

١- البعد التعليمي والإرشادي:

وهو البعد الأساس، وجميع الأبعاد الأخرى متفرعة من هذا الأصل العظيم الذي تدرج تحته كل أعمال الأتباع، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وهذا مصداق لقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- {إنما بعثت معلما} و{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}.

إنه بُعِد يدعو المسلمين إلى معرفة أهمية الاحتفال بمولد النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- وضرورة مراجعة حياته السعيدة وتكريس قيمه، ومبادئه، وأخلاقه، وإرشاداته القرآنية لتزكية نفوس المسلمين، والسير على نهجه القويم وسيرته العطرة، التي كلها يمين وأمن ورحمة، كما تجلّى في بيت ابنه خزيمة أسراه الشيخ الحاج محمد المنصور سي مالك- رضي الله عنه- في قصيدة طويلة مدح بها النبي- صلى الله عليه وسلم-:

مَحَبَّتُهُ يُمِنُّ وَأَمْنُهُ وَرَحْمَتُهُ

وَتَكْشُو مِنَ الْأَنْوَارِ مَنْ كَانَ عَارِيَا^(٢)

1- ومطلع القصيدة: سرى لكيان الدين روح التجدد * ودار على الأرواح صرف التودد

2- اليواقيت العرفانية من الفيوضات الربانية، ص 21.

إذن، فالاحتفال بميلاد النبي- صلى الله عليه وسلم- كان الشيخ- رضي الله عنه- يتخذ وسيلة، لتعليم الأخلاقيات والمبادئ المحمدية، وترسيخها في نفوس الأتباع، وفرصة سانحة لتجديد منهج دفاعه عن التصوف السني المعبر عنه بالإحسان، الذي هو الغاية القصوى التي ينشدها كل من لبى هذا النداء، وما زالت ورثته يتخذونه فرصة لذلك.

وهو منبر خاص اتخذه زعماء هذه الأسرة الدينية الصوفية، وعلماءها ذريعة لتشجيع الرعية على البعد عن ورود الصفات الشيطانية الذميمة، وحثهم على التقرب إلى الإحسان، بملازمة بحر الأمين الصافي العذب- صلى الله عليه وسلم-؛ لما فيه من مكارم الأخلاق الحميدة، كما قال- رضي الله عنه- مخاطبا دعاء وكل ما ترمز إليه من عقيدة منحرفة، وحضارة ضالة مضلة:

مَتَى مَا دَانَ بَخْرُكَ مِنْ كُيُورٍ
فَصَافٍ سِلْسِلُ بَحْرِ الْأَمِينِ
نَبِيٍّ عَبَقَرِيٍّ أَرْزِجِي
صَفِيٍّ لِلَّهِ ذُو خُلُقٍ بَيُونِ
هُوَ الْعَزِيزُ عَزِيزُ الْبَرَاءِ
صَبِيحُ الْوَجْهِ ذُو خُلُقٍ حَسَنِ
مَنِينٍ يَوْمَ ذُو الْأَمَمِ مَنِينٍ
مَنُونٍ غَيْرُ ذِي عَجَبٍ مَنُونٍ^(٣)

يعني إذا كان بحر الدنيا في تموج خطير، فهناك حل للخروج من هذه الأزمات، وهو اتباع الإرشادات والتعاليم المحمدية، بأدلتها الشرعية، التي تجب المحافظة عليها وحراستها على كل من يتولى أمر المسلمين. وقد أدرك الشيخ- رضي الله عنه- ذلك، وفهمه فهما دقيقا، فجعل تلك التعاليم ركنا أساسيا في استراتيجيته المثالية.

٢- البعد التعبدي والروحي

إن ذكرى المولد النبوي فرصة عظيمة لأداء العبادات، والتربية الروحية، بتعويد العبد الصلاة جماعة، وذكر الله، والتوبة الصادقة إليه، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، وكثرة الصلاة على صاحب الصّلات سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وقراءة القرآن، وقيام لياليها، والإنفاق فيها، والاجتهاد في الذكر والتسبيح والتكبير، والمسارعة إلى الخيرات، وسائر الطاعات والقربات، وتنقية قلبه من الغل والحقد

3- قصيدة ري الظمان في مولد سيد بني عدنان / الطبع الأول من ديوانه، ص 75 و76.



وَيَبْنَهُمُ الصَّلَاةَ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ^(٥). إن هذه أدلة شرعية تؤكد أهمية الصلاة ومكانتها في دين الإسلام؛ إنها عماده، وركنه الثاني بعد الشهادتين، ولا تصح إلا بطهارة؛ لأنها شرط من شروط صحتها. ومعنى الطهارة: رفع الحدث، أو إزالة نجس، وما في معناهما وعلى صورتهم.

٢- الحث على المسارعة إلى الاشتغال بمكفرات الذنوب الصغيرة، والعصيان، إنها أعمال كثيرة جاءت لجبر ما نقص من الأعمال نسياناً، أو سهواً، أو عمداً؛ مع العلم أن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة كما ذهب إلى ذلك الجمهور. قال- رضي الله عنه:-

وَبَعْدَ تَصْحِيحِ الْفُرُوضِ اشْتِغَالًا
مِنْ الْمُكْفِرَاتِ نَلْتِ الْأَمَلَا
إِذَا أَتَيْتَ سَيِّئَاتٍ اتَّبَعَا
بِحَسَنَاتٍ تَمْحُ مَا قَدْ وَقَعَا
مِثْلَ الَّذِي إِلَى الدَّوَاءِ يَسْرِعُ
مَنْ حَيْثُ مَا الْجُرْحُ عَلَيْهِ يَطْلُعُ
وَأَكْبَرُ الْمُكْفِرَاتِ خَطَرًا
أَبْلَغُهَا مَحْوُ الذُّنُوبِ وَطَرًا^(٦)

وخص- رضي الله عنه- بذكر بعض المكفرات، بل أكبرها وأبلغها مسارعة في محو الذنوب الصغائر والكبائر، هي:

- الصدقات من الحلال
- التوبة النصوح
- الصلاة على النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- دعاء سيد الاستغفار
- التسيبحات المروية عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- قيام الليل
- التحذير من سوء الظن بالله والعباد

ومن كبائر الذنوب التي تجلب غضب الله ولعنته، سوء الظن بالله، وهو أن يظن العبد أن الله سبحانه وتعالى لا يحسبه في جميع أموره، ولا يغفره ولا يرحمه، وأنه لا ينصر دينه ولا يعلي كلمته، ولا يتم أمره، ولا يؤيد حربه على أعدائه. وهذا كله ناشئ من ضعف اليقين وانعدامه.

ويقابله حسن الظن بالله، وهو قوة اليقين بما وعد الله تعالى عباده من النصر، والعفو والمغفرة،

والحسد، وكل خلق سيئ، وتجديد علاقاته مع أقاربه وأرحامه وخلانه على ميزان الشريعة، مع القيام بالحقوق التي افترضها الله من حقوق المسلم على المسلم. ولذلك كان- رضي الله عنه- ينتهز فرصة حضور المريدين والأتباع والأحبة في هذه المدينة المحروسة العامرة ليوصيهم بعدة وصايا، منها:

١- الأمر بالمحافظة على الصلوات جماعة في المساجد مع الطهارة، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} ^(١) ولقول سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم-: {مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا لِعُذْرٍ؛ وَقَدْ سِئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ- رضي الله عنه- عَنِ الْعُذْرِ فَقَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، وَاسْتِأْذَنَهُ أَعْمَى قَائِلًا إِنِّي رَجُلٌ أَعْمَى، وَلَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَهَلْ لِي مِنْ رُخْصَةٍ أَنْ أَصِلَ فِي بَيْتِي؟ فَقَالَ لَهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاجِبٌ} ^(٢). فالواجب على كل مسلم بعد الأدلة القرآنية والنبوية أن يتقي الله والرسول في أمرهما، وأن يصلي مع الطهارة في الجماعة، كما يتجلى ذلك الأمر في وصية الشيخ الحاج مالك- رضي الله عنه-:

وَحَافِظُوا الصَّلَاةَ وَالطَّهَارَةَ
لَيْسَتْ لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ طَهَارَةٌ
وَحَافِظُوا الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ
إِنْ كَانَ مِنْ يُتَمُّ كُلَّ سَاعَةٍ
أَرْكَانَهَا وَلَمْ يَكُنْ يَنَاقِرُ
تَقَرَّ الدُّيُوكِ الْحَبِّ فِي الْمَنَاقِرِ^(٣)

والأمر بالمحافظة على الصلوات مع الطهارة والجماعة، يحتمل تحذيراً من التخلف عنها، ولذلك يتطلب من الواردين أن يلاحظوه حتى لا يقعوا في كبيرة من الكبائر الخطيرة؛ لأن ترك الصلاة، أو التقاعس عنها يقطع صلة العبد بالله تعالى، وحسبنا تحذيراً لنا قول سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم-: {بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ} ^(٤) وقوله- صلى الله عليه وسلم-: {الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا

1- سورة المائدة، الآية 06.

2- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

3- نعمة عافي الجاني على وصايا سيدي التجاني / الطبع الأول من ديوانه، ص 140.

4- رواه أحمد ومسلم.

5- رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

6- نعمة عافي الجاني على وصايا سيدي التجاني / الطبع الأول من ديوانه، ص 140.



والرحمة، وإعلاء كلمته، ونصرة دينه وحزبه. والخير كله في حسن الظن بالله وعباده، كما تجلّى في وصيته - رضي الله عنه -:

إِيَّاكُمْ بِاللَّهِ سُوءَ الظَّنِّ
وَمَنْ عِبَادَهُ الْعَظِيمِ الْمَنْ
وَحَسَّنُوا الظَّنَّ بِهِ وَبِهِمْ
سُبْحَانَهُ جَلَّ الْكَرِيمُ الْمُنْعِمُ
مَا الشَّرُّ إِلَّا دُونَ سُوءِ الظَّنِّ
مَا الْخَيْرُ إِلَّا دُونَ حُسْنِ الظَّنِّ^(١)

٣- التحذير من اكتساب الضرورات الأساسية من المال الحرام، كالمأكولات والمشروبات والملابس، وربما يتولد ذلك من سوء المعاملات بين الناس في أنواع البيوع، والأشربة التي أكثرها يتمطى بغش محض. قال - رضي الله عنه -:

أَوْصِيَكُمْ بِالْبُعْدِ عَنْ طَعَامٍ
كَذَا اكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ حَرَامٍ
وَبَاعِدُوا عَمَّا عَلَيْهِ دَارًا
أَهْلُ زَمَانِنَا وَقِيَتُمْ نَارًا
إِلَّا قَلِيلًا نَادِرًا مِنَ الْوَرَى
وَهُوَ الْمُعَامَلَاتُ فِي غَشٍّ جَرَى
فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ مِنْ كُلِّ النَّبِيِّ
حَرَمَهُ الشَّرْعُ صَرِيحًا فَانْبِذْ^(٢)

٤- المسارعة إلى اغتنام الأوقات قبل ورود المشاغل؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

{لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عَمَلِهِ فِي مَا إِفْنَاهُ، وَعَنْ شِبَابِهِ فِي مَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عَمَلِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ} وقال - أيضا -:

{اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شِبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ} ^(٣) فينبغي أن يتذكر البعد أنه يسأل عن عمره عموما، وعن شبابه خصوصا؛ لأنها مرحلة نشاط وقوة وحيوة، ففي أي شيء صرفها. وكما يسأل عن باقي الخصال، وعن أوقات الفراغ. فالحديثان يدلان

على أن الوقت ينبغي أن يستغله العبد في الأعمال الصالحات، وخاصة في مرحلة شبابه التي يجد فيها قوة معينة على إتيان الصالحات، واجتناب المنكرات. وقد حثنا الشيخ الحاج مالك سي - رضي الله عنه - على المحافظة على الأوقات قائلا:

وَحَافِظُوا دَهْرًا عَلَى أَوْقَاتٍ
تَسْتَوْجِهُونَ نَجْوَى ذِي الْأَوْقَاتِ
إِمَّا بِذِكْرِ أَوْ تِلَاوَةِ أَوْ
صَلَاتِكُمْ عَلَى الرَّسُولِ الْعَلَوِيِّ^(٤)

٥ - النهي عن التباعد والمهاجرة والتحاقد، وسوء القول والفعل؛ لأن في ذلك تفريقا لوحدة الأخوة الإيمانية، ويقابله الحث على التودد إلى الخلق، وإشاعة المحبة بينهم؛ لأن في ذلك محاربة ومحو للفوارق الاجتماعية.

وكل ذلك يدل على اختلاف الناس، الذي كاد يكون العنصر المشترك الوحيد بينهم. وهو (الاختلاف) سر وجودهم، وسبب سلامتهم في هذا الكون. قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} قوله: مَنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى: إشارة إلى وحدة، وقوله: وجعلناكم شعوبا وقبائل: إشارة إلى تنوع واختلاف. وقوله لتعارفوا: إشارة إلى تفاهم وتودد.

ولذلك تجد الشيخ الحاج مالك - رضي الله عنه - دائما ما يضع هذه النصوص نصب عينيه؛ ليوجه الأتباع، بل كل المسلمين إلى هذه العناصر الضرورية، بغض النظر عن طبقاتهم، وعقائدهم، وآدابهم، ومذاهبهم وطوائفهم، وانتماءاتهم؛ لأن الالتفات إلى اختلافهم بوجه خبيث، يجرهم إلى خسران وتخلّف، ويعيشون في خوف وريبة، ويموجون في مشكلات وصراعات لا تدوى، قال - رضي الله عنه -:

أَوْصِيَكُمْ يَا قَوْمَ بِالتَّبَاعِدِ
عَنِ الْمُهَاجِرَاتِ وَالتَّحَاقِدِ
بِسُوءِ قَوْلٍ إِنْ رَبِّي لَا يُجِيبُ
الْجَهْرَ بِالسُّوءِ وَلَغْوٍ وَالْكَذِبِ
فَلَا تُمُوا النَّاسَ مِنَ الْأَقْوَالِ
مَنْ أَحْسَنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ
وَرَأْسُ عَقْلٍ بَعْدَ مَا الْإِيمَانِ

٤- نعمة عافي الجاني على وصايا سيدي التجاني / الطبع الأول من ديوانه، ص 142

١- نعمة عافي الجاني على وصايا سيدي التجاني / الطبع الأول من ديوانه، ص 141.

٢- المصدر نفسه، ص 143.

٣- أخرجه الحاكم في المستدرک.



تَوَدُّدٌ إِلَى الْوَرَى يَا جَانِي^(١)

٦ - الحث على توقيف قدسية الحقوق في التشريع الإسلامي وعدم الاعتداء عليها، وذلك بتوطيد الصلات الأخوية، والروابط الاجتماعية كصلة الأرحام، وقضاء الحوائج، وتفريج الكرب، وستر العورات، والعفو عن الزلات. فالاجتماع سنة من سنن الوجود لا يمكن إلغاؤه وإبطاله، والاختلاف ضرورة من ضرورات البشر؛ لا يمكن الاستغناء عنه. وحسن المعاملات بينهم قاعدة النجاح والفلاح. قال - رضي الله عنه -:

عَلَيْكُمْ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ
بِمَا يُطِيبُ الْقَلْبَ كَالسَّلَامِ
تَجَنَّبُوا عُقُوقَ وَالِدَيْنِ
وَقَطَّعِ الْأَرْحَامَ وَكُلَّ شَيْنٍ
تَجَنَّبُوا الْبَحْثَ عَنِ الْعَوْرَاتِ
فَإِنَّ ذَاكَ كُلَّ عَيْبٍ يَأْتِي
وَكَثِّرُوا الْعُفْوَ بِكُلِّ زَلَلٍ
وَالصَّفْحَ وَالسَّتْرَ بِكُلِّ خَلَلٍ^(٢)

2 - البعد الاجتماعي

وهو بُعد مهم جداً، تلك الركيزة الضرورية التي تتأسس عليها الحياة الاجتماعية، أي يتحقق بها التكافل الاجتماعي، والإحسان إلى الإخوان، وحمل هموم الأمة المسلمة بأداء حقوقها وخدمتها، وتقوية التمسك بمبدأ المساواة والشورى بين طبقات المجتمع، والمحافظة على التوازن، والعدالة الاجتماعيين، وهذه المبادئ الإنسانية المحمدية أساس كل مجتمع يريد سعادة أبدية لأبنائه، قال الشيخ الحاج مالك - رضي الله عنه - في كتابه «فاكهة الطلاب»^(٣) مستقيماً من أنماط الوصايا الاجتماعية لسيدنا الشيخ أحمد التجاني الشريف الفاطمي - رضي الله عنه -:

قَالَ الْإِمَامُ السَّيِّدُ الرَّبَّانِيُّ
أَوْصِي مُقَدِّمًا عَلَى إَعْطَاءِ
يَعْفُو عَنِ الْإِخْوَانِ مِنْ كُلِّ زَلَلٍ
مُجْتَنِّبِ الْمُوجِبِ فِي الْقُلُوبِ
قُدُّونَنَا وَشَيْخُنَا التَّجَانِي
ذَا الْوَرْدِ أَنْ يَعْفُوَ بِلاَ جَفَاءٍ
وَيَبْسُطَ الْعُفْوَ عَلَى كُلِّ خَلَلٍ
ضَغِينَةً وَسَائِرَ الْعُيُوبِ

1 - نعمة عافي الجاني على وصايا سيدي التجاني / الطبع الأول من ديوانه، ص 143.

2 - الصدر نفسه، ص 152.

3 - الطبع الأول من ديوانه، ص 175.

32 **الفتاوى** مجلة علمية دينية، العدد 9، السنة 2023

يَسْعَى عَلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ النَّبِيِّ
إِنْ تَشْتَعَلَ بَيْنَهُمْ نِيرَانٌ
وَلَيْتُكَ فِي السَّعْيِ لِكُلِّ ذَاكَ فِي
بَغْيَرِ حَظِّ زَائِدٍ وَنَهْيٍ مَنْ
يُزْجِرُهُ بِالرَّفْقِ وَالْكَلَامِ
عَامِلُهُمْ بِالرَّفْقِ وَالتَّنْصِيرِ
كَذَا تَبَاعُذُكَ عَنْ تَغْرِيمِ
لَا تَأْتِفَتْ إِلَى الَّذِي تَخْوِيهِ
وَلَمْ تَرَ الْمُعْطِي غَيْرَ اللَّهِ
وَكُنْ عَنِ التَّشْتِيبِ وَالتَّنْذِيرِ
وَلَا تَطَالِبْهُمْ مِنَ الْقَلِيلِ
إِلَّا الَّذِي سَمَحَتْ النُّفُوسُ
وَدَارَهُمْ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ
تَحْمُلُ الْأَذَى عَلَى مَنْ أَمَرَا
وَمُوجِبِ لِحَلِّهِ وَالشَّيْنِ
سَارِعَ لِلْإِفْطَاحِ كَذَا الْجِيرَانِ
مَرْضَاةَ رَبَّنَا الْعَلِيِّ يَكْتَفِي
يَرَاهُ يَسْعَى فِي نَمِيمَةٍ حَسَنٍ
ذِي اللَّيْنِ لَا التَّشْدِيدِ وَالْمَلَامِ
بَاعِدَ عَنِ التَّنْفِيرِ وَالتَّغْسِيرِ
دُنْيَاهُمْ مُلَازِمَ التَّكْرِيمِ
أَيْدِيَهُمْ تَسْلَمُ مِنَ التَّمْوِيهِ
مَنْ يَلْتَفِتْ لِعَفْوِهِ فَلَاهُ
مُحَرَّرًا دُنْيَاهُمْ سَمِيرِي
وَلَا مِنَ الْكَثِيرِ يَا خَلِيلِي
بِذَلِكَ فَذَلِكَ النَّفْسُ
لِمَا جَرَى لِلْسَّيِّدِ الشَّعْرَانِي
بِتَرْكِ دُنْيَا وَاجِبٍ حَيْثُ جَرَى

تنبع قدسية الحقوق في التشريع الإسلامي، وحرمة الاعتداء عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهي ليست منة من أحد، وإنما هي تكاليف شرعها الله تعالى، وبالتالي لا يحق للشيخ أن يسلب عنها؛ لأن دوره في تطبيق التشريعات، وليس الاعتداء عليها، وإذا اعتدى على النصوص الشرعية التي أقرت تلك الحقوق، فإنه يفقد شرعيته، وقد انتبه الشيخ الحاج مالك سي لذلك، وشدد على حفظ الحقوق الشرعية، وركز كل جهوده على تحريم الاعتداء على حقوق الناس، وانتهاك حرياتهم التي من واجبات نظام الحكم في الإسلام.

3 - البعد السياسي

انطلاقاً من قوله - رضي الله عنه -:

وَلَهُ إِمَامٌ مِنْ تَنْهَجِ نَهْجِهِ

يَسْلُكُ إِمَامًا كَانَ خَيْرَ إِمَامٍ^(٤)

فلا يعزب عن بال أحد أن ذكرى المولد النبوي الشريف، تعد فرصة مباركة لمراجعة المنهج السياسي القويم للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، فهو منهج سليم متكامل، يتيح للمسؤولين في السلطات الروحية والزمنية أن يتنبهوا أنهم - في هذا الاجتماع العظيم الذي هو بأمر من الله تعالى - مكلفون بالسعي في سبيل الأهداف الإسلامية، والوطنية المقدسة، وتحقيق المقاصد العليا الشريفة من أجل وحدة الكلمة، واتحاد الصفوف، وأن يكونوا فكراً واحداً،

4 - قصيدته الكاملية في مدح خبر البرية، مطلعها: أبدى بروق تحت جنح ظلام... / الطبع الأول من ديوانه، ص 195.



وعهدا واحدا في طريق الاستقلال والتقدم، وتحفيز الوعي السياسي، واجتثاث سرطان الأعداء من النفوس الطاهرة قبل أن تُعَدَّى، فيحاولوا توحيد خطاباتهم على فكرة واحدة، وتوجيهها إلى ما يفيد الشعب من معالجة مشكلاتهم، وطرد متابعاتهم التي سمعونا بملء آذانهم من كل رجاء من أرجاء البلد، وتحريره من مخالف أعداء الإسلام والإنسانية.

إن إخلال السلطات الزمنية والروحية بواجبات الشعب، يعطيه الحق بعدم الوفاء بواجبات الدولة، والطرق الصوفية. ومن الحقوق التي يجب على الشيوخ أن يزرعوا فيها قادة الدولة، تلك الحقوق التي نص الشارع على وجوب توفيرها للرعية. فإنها يقع على عواتقهم وجوب توفيرها، كما يتجلى ذلك في تعاليم الشيخ الحاج مالك سي- رضي الله عنه- إذ يقول:

أَلَا نَبْهُوا الْأَتْبَاعَ كَيْلًا تُوَاخَنُوا
بِمَا أَحْلَثُوا فِي الدِّينِ دُونَ سَوَاءٍ
عَلَى كُلِّ مَتَّبِعٍ دَلَالَةٌ تَابِعٍ
لَمَّا هُوَ أَجْدَى لَا لِحَبْلٍ عَطَاءٍ
وَنَعْلِمُهُمْ فَرَضٌ وَلَوْ بِاجَارَةٍ
وَأَلَا عَلَيْكَ الْإِثْمُ يَوْمَ لِقَاءٍ^(١)

ومن تلك الحقوق للرعية:

- حق التكريم، لقد كرم الله الإنسان دون التفات إلى أي صفة أخرى، فهو يستحق التكريم لكونه إنسانا.
- حق الحياة؛ لأن الله حرم قتل نفس بغير حق.
- حق المساواة، بغض النظر عن اختلاف اللون، واللغة، والعرق، والوطن.
- الحق في عدم الإكراه على الدخول في الإسلام.
- حق حفظ المال
- حق حفظ النسل
- حق إبداء الرأي

هذه بعض من نماذج حقوق الرعية الثابتة في الشريعة الإسلامية، والمحافظة عليها واجبة على السلطات الزمنية، تحت رعاية خلفاء الطرق الصوفية، فهي من المصالح التي ينبغي للنظام الحاكم أن يحرسها.

1- انظر قصيدته: ولا تركن حبي... ص

4- البعد الاقتصادي.

إن التأذين في آذان المريدين والمسلمين لإقامة ذكرى مولد النبي- صلى الله عليه وسلم- لموسم مبارك، يشهد فيه المسلمون منافع متبادلة فيما بينهم، من زيارات، ومن بيع وشراء، الأمر الذي يجعل هذا الموسم النبوي عاملا قويا في الإسهام في الحركة الاقتصادية في البلد.

ورغم غياب إحصاءات دقيقة وثيقة حول الإيرادات الناتجة عن ذكرى المولد النبوي الشريف، لا يشك اثنان في أن تنظيمها يجلب الكثير من الدخل الاقتصادي للبلاد، وذلك في العديد من القطاعات الخاصة والعامة، كقطاع التجارة، والنقل البري والجوي والبحري، والاتصالات السلكية، والإسكان. ولعله لو أقيمت دراسات على ما يجلبه الاحتفال من الدخل المادي، ووضعت قطاع التجارة، والماشية بأنواعهما في مقدمة القطاعات الاقتصادية المستفيدة من هذه الذكرى النبوية الشريفة، فلا شك أن ما تستخلصه تلك الدراسات من مداخل خلال اثني عشر يوماً من شهر ربيع الأول، أو ما قبله وبعده، يدور حول مليارات. وهذا بالفعل ما يشير إليه- رضي الله عنه- في هذا البيت:

وَمَوْلَدُهُ بِهِ شَرَفٌ وَخَيْرٌ

فَفِي التَّعْظِيمِ أَنْجَاحُ الشُّجُونِ^(٢)

5- البعد الثقافي

المولد النبوي الشريف منبر ثقافي، تنظم فيه حلقات علمية، وندوات ثقافية، وبرامج حضارية خلال الأيام والليالي العشر، التي تراجع فيها سيرة سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- ونقرأ فيها المدائح النبوية في جميع الزوايا المالكية وغيرها، تمهيدا لحلول الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول، الذي طلع فيه الفجر المحمدي المبارك، وتحلى به الإنسان أبهى الحُلل الإنسانية. وتلك المدائح النبوية- كما قال زكي مبارك-: «فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص». ولو لم يكن في ذكرى المولد النبوي إلا إنشاد مثل هذه المدائح النبوية تشيد بخصال صاحب الشريعة لكفى ذلك دافعا وعاملا أساسا لإقامتها.

2- قصيدة ري الظمان في مولد سيد بني عدنان / الطبع الأول من ديوانه، ص 79.



مِنْ قَبْلِ إِرْسَالِ الرُّسُلِ
فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَالْ
أَجْسَامِ دَانَ لَهُ الْمَلَكُ
لَوْلَاهُ مَا طَلَعَتْ ضُحَى
شَمْسٍ وَلَا الْبَدْرُ اسْتَهْلُ
حَازَ النُّبُوَّةَ قَبْلَ أَبِي
جَادِ الْوَرَى وَحَوَى الْأَمْلَ (٣)

• قال شعبة الحمد، الشيخ الحاج عبد العزيز
سي رضي الله عنه

وَصَلْنَا بِحِفْظِ اللَّهِ دَارَ النُّبُوَّةِ
وَنُورِ وَإِيمَانٍ وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ
لَزُورِ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ رُسُلِهِ
وَخَاتِمِ نَظْمِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَجَلَةِ
أَيَا سَيِّدِ السَّادَاتِ أَحْسَنَ أَسْوَةٍ
وَأَفْضَلَ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
شَفِيعُ الْوَرَى الدَّاعِي إِلَى خَيْرِ مِلَّةٍ
فَهَا نَحْنُ جُنَّا طَالِبِينَ شَفَاعَتِهِ
بِجَاهِكَ عِنْدَ اللَّهِ بَارِي الْبَرِيَّةِ (٤)

• قال الشيخ محمد المنصور سي بروم داري
رضي الله عنه

فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَالسَّنْدُ الَّذِي
شَفَاعَتُهُ تُرْجَى غَدَا يَوْمَ رَغْبَةٍ
فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ الَّذِي
بِهِ يَرْتَقِي الْأَبْرَارُ سَيْرًا لِحَضْرَةِ
فَهَذَا رَسُولُ لَنْ تَرَى الْعَيْنُ مِثْلَهُ
مَنْ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ فَأَكْبَرُ آيَةٍ
نُدَافِعُ عَنْهُ كُلَّمَا قَامَ مُعْتَدٍ
فَأَحْمَدُ حَقًّا عَزْنَا أَيَّ عِزَّةٍ
كَمَا أَنَّنَا نَأْبَى الْأَسَاءَةَ نَحْوَهُ
لَنَرُفُّهَا قَطْعًا تَجَاهَ الْأَئِمَّةِ (٥)

• قال الشيخ أحمد التجاني سي المكتوم رضي

3- اليواقيت العرفانية من الفيوضات الربانية، ص 62.

4- مقرب الأماني لكشف أنوار المعاني / ديوانه العربي، ص 333.

5- ومطلع القصيدة: فتبت يداكم أيها العصبية التي * تسيئ برسم
البدر سر البرية.

وختاما يحسن بنا قبل إسدال الستار على
صفحات هذه المقالة أن نقود القارئ العزيز إلى
نزهة أدبية في رياض صاحب الرسالة الخالدة، سيدنا
محمد- صلى الله عليه وسلم- لف متفيين بظلال
المدائح النبوية الوارفة، ونقطف من ثمارها اليانعة،
التي زرعها فيها أدباء الحضرة المالكية.

• قال الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه:

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَبْعُوثٍ حَوَى شَرْفًا
بَابَ الْإِلَهِ لِمَاضِي الْخَلْقِ وَالْآتِي
وَمَنْ أَرَادَ دُخُولًا عَنْهُ إِنْ لَهُ
طَرْدًا وَصَرْفًا إِلَى اضْطَبِيلِ الْبَهِيمَاتِ
هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي عَمَّتْ رِسَالَتُهُ
كُلَّ الْأَنَامِ بِلَا شَكٍّ وَرَبِّيَّاتِ
وَاللَّهُ شَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ كَرَمًا
إِسْمًا وَقَدْ خَصَّهُ خَيْرَ الْمَحَبَّاتِ
مِنْ اسْمِهِ صَوَّرَ الرَّحْمَنُ خَالِقُنَا
صُورَاتِنَا فَحَوَى كُلَّ الْكَرَامَاتِ (١)

• قال خليفته الأول، الشيخ الخليفة أبوبكر سي
رضي الله عنه:

هُوَ الْأُمِّيُّ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا نَزَلَتْ
أَيُّ حَدِيثٍ فَلَا كُتُبٌ وَإِمْلَاءُ
سِرِّ السَّرِيرِ نُورِ الْخَلْقِ قَائِدُهُمْ
خَيْرُ خِيَارٍ قَرِيشٍ وَهُوَ دَأْمَاءُ
وَخَيْرُهُ اللَّهُ سِرُّ الذَّاتِ صَفْوَتُهُ
سِرُّ الْوُجُودِ وَجُودُ الْجُودِ نَعْمَاءُ
إِغْنَاءُ كُلِّ الْوَرَى مِنْ طِلِّ دَيْمَتِهِ
فَكَيْفَ دَيْمَتُهُ لِلْبَرِّ هَطْلَاءُ
إِنْ كَانَ جَهْدٌ وَنَكْدٌ فِي الزَّمَانِ بَدَا
جُودٌ وَطُودٌ لَهُ فَالْكَفُّ وَكَفَاءُ (٢)

• قال شيخ القوم، الشيخ محمد المنصور سي
مالك رضي الله عنه:

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ مَنْ حَوَى التَّ
تَقْدِيمَ حَقًّا فِي الْأَزَلِ
مَنْ سَادَ كُلَّ الْأَنْبِيَا

1- القصيدة الثائية في مدح خير البرية / الطبع الأول من ديوانه،
273.

2- من قصيدته درة الغيداء وزبرجد البيضاء.

الله عنه:

أَكْرَمَ بِأَحْمَدَ فِي نِظَامِ الْمَوْلِدِ
أَكْرَمَ بِمَوْلِدِ أَحْمَدٍ مِنْ مَوْلِدِ
هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ يَنْطِقُ بِالَّذِي
يُعْيِي بُنُورَ هُدَاهُ كُلَّ مُجَلِّدِ
هَذِي صَحَائِفُهُ عَلَيْهِمْ أَنْزَلْتُ
مِنْ رَبِّهِمْ تَسْرِي بِرُوحِ تَعْبُدِ
فَالرُّوحُ وَالْخَلْقُ الْمَطْهُرُ بَعْدَهَا
وَالْمَادَّةُ السُّفْلَى الَّتِي لَمْ تُبْعَدِ
فَهِيَ حَضَارَتُهُ عَلَيْهِمْ نَظَّمْتُ
وَهِيَ سِيَاسَتُهُ عَلَى الْمُتَقَيِّدِ ((١))

• قال الشيخ الحاج مالك سي الدباغ حفظه
الله ورعاه
طَهَ بِذِكْرِكَ غَنَّتِ الْأَكْوَانُ
وَبُنُورِ هَدْيِكَ سَادَتِ الْأَزْمَانُ
هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ فِي آيَاتِهِ
مَدْحٌ لَخَلْقِكَ صَاغَهُ الرَّحْمَانُ
هَذَا هُوَ التَّارِيخُ فِي صَفَحَاتِهِ
خَلْدٌ لِنَهْجِكَ صَانَهُ الْمَنَّانُ
هَذِي تَحِيَّةٌ شَاعِرٍ فِي لَيْلَةٍ
فِيهَا وُلِدَتْ فَقَامَتِ الْأَرْكَانُ
فَالْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ خَيْرُ آسَاسِهَا
وَالذِّكْرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالْقُرْآنُ
• قال الشيخ محمد الهادي طوري رضي الله
عنه:

مُحَمَّدٌ مَنْ هُوَ الْبَحْرِ الْمُحِيطُ عَلَى
كُلِّ الْعُلُومِ مَعًا لِمَنْ يَكُنْ قُرْآنًا
مَجْلَى الْإِلَهِ وَمِيزَابُ الْوَرَى فِيهِ
يَقْيِضُ لِلْخَلْقِ مَنْ قَدْ عَزَّأَوْ قِمَمًا
قَدْ كَانَ لِلنَّاسِ فِيهِ أَسْوَةٌ حَسَنٌ
وَمَنْ قَلَّاهُ فَمِنْهُ اللَّهُ قَدْ بَرَّأَ
حَبَا إِلَهَ لَهُ مِنْ كَوْنٍ كَرَمًا
وَالْمُسْتَقَى مِنْهُ لَا يُلْقَى بِهِ ظَمِيمًا
مَنْ كَانَ يَعْبُدُ رَبِّي دُونَ سُنَّتِهِ

فَذَاكَ سَوْفَ يَرَى صَوَابَهُ خَطَأً ((٢))

• قال الشيخ علي باه رضي الله عنه:
مُحَمَّدٌ مَرْكَزُ الْأَنْوَارِ وَمَعْدُنُ أَرْ
وَاحِ الْخَلَائِقِ طَرًّا خَيْرُ خَيْرِهِمْ
حَقِيقَةُ الْكَوْنِ كُلِّ الْخَلْقِ قَدْ بَرَزُوا
مِنْ نُورِهِ رَبِّي هَبْ لِي خَيْرَ مُخْتَمٍ
عَيْنُ الْكَمَالِ كَمَالِ الْعَيْنِ رَحْمَتُهُ
سِرُّ الْوُجُودِ وَجُودُ سِرِّ سِرِّهِمْ
وَالْأَنْبِيَاءُ وَرُسُلُ اللَّهِ قَاطِبَةً
تَحْتَ لَوَائِكَ يَا مُخْتَارَ بَدْرَتِهِمْ
ذَاكَ النَّبِيُّ رَسُولُ اللَّهِ صَفْوَتُهُ
خَلِيلُهُ وَرَسُولُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ((٣))

وعلى ضوء ما سبق من التوصيات الإلهية
المحمدية، والوصايا التجانية، يمكن القول إن الشيخ
الحاج مالك سي- رضي الله عنه- كان صادق التوجه
إلى الله تعالى، وحسن الاقتداء بسيدنا محمد- صلى
الله عليه وسلم- والتوبة إلى الله تعالى مما مضى،
ولم يوافق ما كان عليه النبي- صلى الله عليه وسلم،
كما تجلّى في بيته- رضي الله عنه-:

وَكُلُّ مَا أَفْعَلُهُ نَوَيْتُ فِيهِ
أُسْوَتُهُ صَلَّى عَلَيْهِ مُصْطَفِيهِ
مُسْتَغْفِرًا وَتَائِبًا مِمَّا مَضَى
وَلَمْ يُوَافِقْ مَا عَلَيْهِ الْمُرْتَضَى ((٤))

وفي الختام، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى
طاعته، ويبلغنا وإياكم منازل الصالحين، من عباده
ويختم لنا ولكم بخير وعافية، وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم.

أخوكم سرنج امبي باه
سبط الشيخ الحاج مالك كبي
قدس الله سره ونور ضريحه
عضو اللجنة الثقافية
لسراج الحضرة المالكية

2- أنظر ديوانه الإلكتروني، ص 04.

3- أنظر ديوانه الإلكتروني، في القصيد الأولى.

4- أنظر الطبع الثاني من ديوانه، قسم المتفرقات.

1- مجموعة من قصائد السيد، ص 36.

تجليات هدي الرسول في كتابات الصوفية

مؤلفات الشيخ الحاج مالك سه نموذجاً



بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول: كتابات المتصوفين

المطلب الأول: إشكالية التصوف بين الأصل والنشأة والمفهوم

فلم تزل طبيعة التصوف ذات دلالة تعددية مبهمة تغري وترجي العلماء والدارسين إلى بحوث مستمرة بمناهج مختلفة حول ماهيته - وكانت المضامين المعرفية الشائكة والآفاق المفهومية المتشعبة التي تميز بها هذا الميراث الروحي عاملاً مهماً في جذب اهتمام هؤلاء الباحثين -؛ ليقدموا لنا بذلك دراسات متنوعة تناولت كل القضايا المتعلقة بالتصوف من حيث النشأة والظاهرة، والأصل والحقيقة⁽²⁾...

وتأتي قضية ضبط مفهوم المصطلح ومؤرخة نشأته على صدر الدراسات التي عنوا بها وأولوها اهتماماً بالغاً، فترقمت المباحث وتباينت قراءاتها عند القدامى والمحدثين من العرب والغرب؛ طبعاً لاختلاف منطلقاتهم المعرفية في دراسة المصطلح بأبعاده المذكورة. وتتمثل إشكالية التصوف - أولاً - في عملية تأصيله وضبط مدلوله اللغوي والاصطلاحي معاً، حيث رأى بعض الدارسين أنه دخیل، يعود إلى ثقافات الأمم الأخرى وإلى أديانها⁽³⁾، واعتبره آخرون إنتاجاً للتفاعل الخلاق مع معاني القرآن وهدي مَنْ أنزل عليه الذكر، مثلما جمع البعض البعض الآخر المعطى الأول والثاني ضمن نظرة توفيقية⁽⁴⁾.

ويعتبر التصوف - رغم كلما قيل عن حقيقته - ظاهرة مناقضة لحياة الترف والبذخ!⁽⁵⁾ ونتوجس في إدراكنا جميعاً أن الترف والبذخ - بمعيار الحسن والقبح - ضدان للزهد والورع المعهود

وفي وسط زحمة الانكباب الدائم على شؤون الدنيا؛ حل النفور، ووقعت الغفلة عن إقبال الناس على تركية النفوس وتهذيبها بعد ما تيسر روح الإنسان المسلم من إعادة الثقة بعلاقتها مع ربها. ومن ثمة، يأتي بعض الحلول لهذا الفراغ الروحي والتردي الأخلاقي، من الرجوع إلى التعرف على كتابات الصوفية التي تستوجب اطلاعاً واسعاً ودقيقاً للوقوف على تجارب أعلامها التي تمثل رافداً خصياً، ومنظومة فكرية مثمرة، وإن كانت دراسة فكرة من أصعب النشاطات العقلية لما يتطلب من رفع مستواها إلى مفهوم الفكرة بحد ذاتها حسب تعبير الفيلسوف الألماني «لكي ندرك ماهية ظاهرة أو فكرة ما يجب أن ترتفع بموضوعها إلى مرتبة المفهوم، إذ إن جوهر الفكر هو المفهوم»⁽¹⁾. وعليه، فتلك الفكرة الصوفية ليست ظاهرة أو بارزة بالقدر الكافي في جميع مؤلفات التصوف؛ لذلك يصير ضرورة على المستمين إليهم التصدي لإعادة صياغة بعض جوانبها الغامضة إفرازاً لمدى تطابقها مع تعاليم هدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولتجلية بعض المعالم لذاك الهدي النبوي، قسمنا الموضوع إلى مبحثين، ومطالب أربعة، وهي في اللاحق ترتيبها:

المبحث الأول: كتابات المتصوفين

المطلب الأول: إشكالية التصوف بين الأصل والنشأة والمفهوم

المطلب الثاني: مراحل تدوين علم التصوف بقسميه السني والمعرفي

المبحث الثالث: ملامح هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤلفات الصوفية للشيخ الحاج مالك

المطلب الأول: قسم التصوف العام

المطلب الثاني: قسم "التصوف التجاني"

2 وفي المباحث اللاحقة تصنيف الدراسات المتعلقة بالتصوف، وترتيبها حسب المراحل التاريخية.

3 ينظر: لو محمد أحمد، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، دار ابن عفان، القاهرة، ط1، س2002، ج1، ص45.

4 le soufisme, voie mystique de «ZARCONC Thierry 4 Pollina, France, 2009, p. 19.

5 ينظر: جانج شيخ أحمد التجاني: مقالة تحت عنوان «الفكر الصوفي للشيخ الحاج مالك خلال إفحام المنكر الجاني»، مجلة الفاتح، العدد08، س2022، ص18.

1Hegel. Encyclopédie des sciences philosophiques ; vol 3. Philosophie de l'esprit ; Paris ; 1988 ; p. 304



قلوبهم عن طوارق الغفلة». وقد عَصِدَ انبثاق التصوف — أصلاً ونشأةً وحقيقةً — عن القرآن والسنة جماعة وافرة الرقم من العلماء الكبار، والباحثين الأكاديميين، سواء من المسلمين أو غيرهم من المستشرقين والغربيين. ومما يصب في قالب هذه الأطروحة، قول المستشرق الفرنسي، «لويس ماسينيون» (Louis Massignon) بأن القرآن الكريم يطمّر في طياته أبعاداً ومعالم تربوية روحية عديدة ومستغنية عن تأثير خارجي، وبتعبيره الخاص «إن في القرآن البذور الحقيقية للتصوف عامة، وهذه البذور كافية لتنميته في غير حاجة إلى أي غذاء أجنبي ويضيف كل بيئة دينية تتوافر على الإخلاص والتفكير، تصلح لأن يظهر فيها روح التصوف فليس التصوف إذن من خصائص عنصر أو لغة أو أمة، بل هو مظهر روحي لا يحده مثل هذه الحدود المادية، فمن القرآن يردد المسلم تلاوته ويتأمل في آياته ويقوم بفرائضه، انبثق التصوف الإسلامي ونما وتطور».⁽³⁾ وإلى هذا المنحى، يتجه المستشرق الألماني، «ثيودور نولدك» (Theodore Noldeke) قائلاً بـ: «أن كلمة التصوف مشتقة من الصوف، وأنها كانت في الأصل موضوعاً لزهد المسلمين...»⁽⁴⁾.

وفيما سرودناه قدرٌ لازمٌ كافٍ لإدراك نسبيٍّ أصل

3 نقلاً عن: تصوف الغرب الإسلامي، كتاب جماعي، الوادي للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط1، س2022، ص: 67

4 نقلاً عن: جهود المستشرقين في دراسة تأريخ التصوف الإسلامي، زهير يوسف عليوي الحيدري، جامعة القادسية، كلية التربية / قسم التاريخ، مجلة أوراك للأبحاث العلمية، 2010، ص54

عليهما في استخدامات السنة النبوية الشريفة قولاً وفعلاً واستقراراً، واللذين قد ألفا عند من صحبوا رسول الله طيلة حياتهم، فباتوا زهاداً، عبّاداً، ومخلصين، كما أشار إليه زين العابدين أبو القاسم القشيري في «دستور المتصوفين»⁽¹⁾، قائلاً: بـ «أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها فقليل لهم الصحابة، ولما أدركم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين وراوا ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقليل لخواص الناس لمن لهم شدة بأمر الدين الزهاد العباد... فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم المحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المئتين من الهجرة».⁽²⁾

ويتلخص في هذه العبارات أصل التصوف ونشأته؛ حيث أورد صاحبها أسماء مغايرة، وأطلقها على أناس أفاضل سواسية عنده، رغم اختلاف العصور التاريخية التي عاشوا فيها، ويُلَفَتُ الأنظار إلى صفات مهمة مشتركة بينهم جميعاً، وهي: الزهد، الورع، والمراقبة التي اصطلح عليه بـ «المحافظون

1 قد اصطلح كثير من الباحثين المختصين بالتصوف الرسالة القشيرية على «دستور التصوف»؛ لما تختزل من قواعد عدة متمخضة عن النص الديني بشقيه القرآني والسني.

2 زين العابدين أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، دار الكتاب العربي، بيروت، دس، ص: 70.



من هذا التحديد الخلدوني لببورة هذا المنحى الروحي - وهو تحديد تكاد أن تجتمع عليه أمهات كتب الصوفية⁽⁶⁾ - نستنتج أن بداية التدوين في علم التصوف والاهتمام بضبط معجمه الاصطلاحي كان مشروطا بعوامل دينية وسياسية وليس معرفيا بالدرجة الأولى.

فثمة مبادرات قيمة من عند بعض الصوفية، مثل توجيهات الإمام الجنيد، والحارث المحاسبي، اللذين أطرا كثيرا من ممارساتهم الصوفية⁽⁷⁾، واكتسبا للتصوف وأهله شرعية بين معاصريهم. وبات أبو القاسم الجنيد - بفضل صرامته على الحادين عن النص الديني - الجذيل المحاك، والمرجع الأساس «للتصوف السني». وعمل ذلك ما أدى إلى أن يتوج له ولأمثاله فضل استكمال صورة هذا العلم، وشرح حدوده، ونسبته من العلوم الإسلامية؛ لأنهم لم يكتفوا في تجلية علم التصوف فحسب، بل أوضحوا سبل تطبيقه في السلوك، وأولوا كثيرا من قضايا الشائكة لإرجاعها إلى الكتاب والسنة. ثم تمت عملية التدوين نهائيا على يد الجيل الذي جاء إثر هؤلاء الذين بددوا بجهودهم الخاصة كثيرا من غامضات التصوف.⁽⁸⁾

ونشير إلى أن الكتابة بصفة عامة في التصوف، قد اختلفت مراحلها التاريخية؛ نظرا للظروف التي كانت تفرض على المتصوفين العدول عن المنحى المعرفي أو الحكمي الذي كان يتناول فيه رواده الأوئل قضايا الأسرار، والمعارف الغامضة، والتجارب الروحية الذاتية التي لم يتمكن «حراس الشريعة»، الفقهاء المعاصرون لهم من إخضاعها في ميزان الشرع، أو من تقويمه بما يتأسس على أدلة منطقية مقبولة؛ لأنها كانت إشارات رمزية معرفية لا موضوعية، ولأنه لم يكن «البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق، رداً وقبولا، إذ هي من قبيل الوجدانيات»⁽⁹⁾.

وقد أدى بهم ذلك المنحى التعبيري الخطير إلى مأزق اليم، وشكلت مأساة الحلاج - وإن لم يكن أول من دق هذا الباب⁽¹⁰⁾ - أبرز مظهر للمحن التي

6 ينظر: أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، المرجع السابق، ص: 36.

NDIAYE Saliou, «Patrimoine sur la naissance du soufisme», in Annales de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines, ARCIV n :41/A, 2011, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, UCAD, p96

8 ينظر: ولد أباه محمد المختار، تاريخ التصوف، دار الإسراء للطباعة والنشر والتوزيع، نواكشوط، ط: 1، س: 2021، ص: 135

9 ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة الديوان، المرجع السابق، ص: 580

SCHIMMEL Annemarie, *le soufisme ou les dimensions mystique de l'Islam*, les éditions du cerf, France, 2ed. 2022, p. 65. Selon la tradition Dhu'n-Nun fut le premier à formuler.

التصوف ونشأته. أما الكلام عن مفاهيم التصوف، قد لا تجود هذه الصفحات إيراد أكثريتها لوفرة ما قيل عنها، وطبعا للمفاهيم البشرية التي تبقى دائما نسبية. بيد أننا نميل إلى ما يخدم بحثنا عن تجليات هدي الرسول في التصوف من حيث التنظير والممارسة.

وقد مثل شيخنا أحمد التجاني - رضي الله عنه - المفهوم الصوفي في السلوك التعبدية التطبيقي عبر الامتثال بالأوامر، واجتناب النواهي من حيث يرضى لا من حيث ترضى⁽¹⁾. وعبر الدكتور «باكر صمب»⁽²⁾ (Bakary Samb) مفهوم التصوف عما هو مأل إلى البعد الأصلي التأسيسي للتصوف⁽³⁾. وفي هذين المفهومين وما سلف عنهما من الفرضيات؛ تظهر أصالة التصوف، واستنارة طريقته من هدي الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: مرحلة تدوين علم التصوف بقسميه السني والمعرفي أو الحكمي⁽⁴⁾

فلم يكن علم التصوف مدونا في زمن الرعيل الأول ممن عُرفوا بالتصوف. وذلك لا يعني عدم وجوده مع بروز حقيقة التصوف، لكن لم يكن مطلب الكتابة والتأليف في مسائل هذا العلم ودقائقه ضرورة ومشغلا قائما أمام الاستغراق في أسرار الحياة الروحية، لذلك تأخر عن التدوين، ويقول في الصدد العالم الأنثروبولوجي، عبد الرحمن بن خلدون: « هذا العلم من العلوم الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها... فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»⁽⁵⁾. فانطلقا

1 ينظر: سه الشيخ عبد العزيز الأمين، الفياض، منشورات تمبكتو، القاهرة، ط2، س: 2020، ص: 44

2 SAMB Bakary, «Islam au Sénégal - d'où viennent les Confréries?», Timbuktu Institut, Dakar - Sénégal, première édition, 2023, P.44

3 Malgré les multiples divergences concernant sa définition et ses caractéristiques, le soufisme serait une manière de se désintéresser des choses terrestres pour se consacrer à Dieu. Pour les soufis, c'est un modèle de vie spirituelle dont la dimension mystique trouverait son fondement dans le Coran et les traditions prophétiques

4 أوردنا التصوف الحكمي أو المعرفي بدلا من التصوف الفلسفي؛ لما لم أجد مسوغات متينة أو مبررات مقنعة على أغرقه التصوف بفلسفته.

5 ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة الديوان، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 2010، ص: 576-577



ومن أهم الكتب التي تناولت القضايا المعرفية، كتابا الشيخ الأكبر، محي الدين ابن عربي الحاتمي، (الفتوحات المكية، وفصوص الحكم).

وليست المصنفات الصوفية بشتي مادتها المعرفية قاصرة على ما تم سرده خلال هذه العجالة السريعة، لكن لقائمتها ما لا تجود وريقات مقالة يسيرة ضمّه في طياتها.

المبحث الثالث: ملامح هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤلفات الصوفية للشيخ الحاج مالك

ومنذ بلورة التصوف كعلم مستقل بمصطلحاته الخاصة به عن بقية العلوم الدينية؛ لم يزل العلماء يكتبون عنه نظما ونثرا إلى أن جاء الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه، وأدلى بدلوه.

والشيخ بكونه عالما مربيا صوفيا، فلا غرابة في أن يلحظ المتتبع لتراثه العلمي الأدبي ملامح صوفية جليلة تطفئ على كل فن من الفنون العلمية التي تناولها، حتى ليتمكن القول دون مبالغة بأن كتاباته كلها تنجح للمنحى الصوفي السني، أو أن فكره الصوفي بصفة عامة يشبه - على حد تعبير بروفيسور محمد ألف سيس - أفكار الإمام الجنيد الذي كان يعتبر السلف الأوائل، المتصوفين الخالص.⁽⁴⁾

وسنحاول في هذا المبحث دراسة بعض مؤلفاته الصوفية بشكل خاطف غرض إفراز بعض الملامح لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في صوفية الشيخ. فلا يخفى على أي باحث أو قارئ متأن للشيخ، بأن في مؤلفاته منظومات خاصة بالأدبيات الصوفية التجانية، وكتابات تغطي الخممار على أطراف التصوف بوجه عام. ومن ثم، تجدر بنا الإشارة إلى كل من هذين الصنفين رسم معالم واضحة لكل منهما.⁽⁵⁾ وفي التالي ترتيب البعض الأهم:

المطلب الأول: الكتابات الصوفية العامة

1) إفحام المنكر الجاني:

ففي هذا الكتاب قضايا صوفية كثيرة تناولها الشيخ بأسلوب علمي منهجي ملتزم، وعدالة علمية

تعرضت لها الصوفية سبب تطرقهم إلى معارف وراء طور العقل الإنساني المجرد. وأجبرتهم هذه الظروف الزمكانية - بعد اشتداد حملة التشنيع عليهم - على نهج جديد في الكتابة الصوفية، وهو منهج يدور الكلام فيه على البحث عن الشرعية وإثبات توافق علم التصوف مع باطن الشريعة الإسلامية، وبيان مدى ارتباط سلوك المتصوفة ونسكهم بسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفضائل الصحابة وبعض التابعين.

أما المناهج المتبنى عليها في عملية هذا التدوين، فقد اختلفت حسب الأغراض؛ فهناك من اهتم بلم مضامينه وفك رموزه من مقامات وأحوال وأداب تركيزا على نسبة التصوف إلى الشريعة وتوافق مبادئه مع مقاصدها الكلية، وذلك شأن أبي نصر السراج الطوسي⁽¹⁾، وزين العابدين أبي القاسم القشيري⁽²⁾، اللذين قيدا منهجيهما بتعاليم الكتاب والسنة، وحاولا إرجاع كل حركة صوفية إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كثر أمثالهما في تبني نفس المنهج التأليفي. كما أن هناك من كان يهتم بالتعريف برجال التصوف مثل أبي نعيم الأصبهاني في كتاب «حلية الأولياء»، وطبقات الصوفية لمحمد بن الحسين السلمي...

وهناك أيضا مصنفات صوفية تتناول القضايا المعرفية أو الحكمية التي يحلو لبعض العلماء الباحثين تصنيفها وتسميتها «بالتصوف الفلسفي»؛ زعما منهم بأن ثمة عوامل خارجية دخيلة فيها، أو بعبارة أخرى، أن قضايا «التصوف الفلسفي» مشوبة أو - بتعبير أخف - قد تأثرت، مرة، بفلسفات أفلاطونية جديدة، ومرة أخرى، بالثقافات الفارسية، وبآثار طقوس الأديان الهندية. غير أن هذه الأطروحة قد ردّ عليها كثير من الباحثين - خلفا وسلفا -، باعتبار أن علاقة تلك الفلسفات بالتصوف لا تعدو من الالتقاء في البحث الدائم المستمر عن الحقيقة المبتغاة التي يستهدفها كل من الفلاسفة والصوفية، رغم اختلاف الوسائل الموصلة إليها. وذهب البعض إلى إيجاد تفسير لهذه «التصوف المُفلسف» من التجارب والأحوال الواردة، و (هجمات تجلي ذي الجلال في مرآة قلب الصوفي خلال مسلكه التعبدي)⁽³⁾.

la théorie de la m'arifa, connaissance intuitive de Dieu, ou «...gnose

1 يعد مؤلف أبي نصر السراج الطوسي الذي مصدرنا في «التصوف السني» - إن صح التعبير -؛ لكونه أول من جمع علم القوم في كتاب خاص، وسماه ب «اللمع».

2 قد أشارنا سلفا إلى أن كتابه (الرسالة القشيرية) يشكل دستورا صوفيا - كما اصطلح عليه كثير من الباحثين - لما يتضمن من قواعد هامة وكثيرا من قضايا نظرية صوفية تناولها بأسلوب رصين.

3 ينظر : أضواء على التصوف، ميراث السادة الخلوتية، ص: 470.

CISSE Mouhamadou Alpha, «Le soufisme islamique, 4 point de vue d'El Hadji Malick Sy», in Revue sénégalaise d'études arabes, ARCIV n :05, 2018 , Faculté des Lettres .et Sciences Humaines, UCAD, p. 9

5 وهناك مأخذ على بحوث بعض الدارسين والمختصين بكتابات الشيخ الحاج مالك سي؛ حيث صنفوا كثيرا من تراثه ضمن الأدب التجاني البحث، وأهملوا عن الجانب العام للتصوف فيها؛ رغم توفر استدلالات الشيخ بمطولات الكتب الصوفية، وكثرة اتخاذ المتصوفين الكبار الأوائل غير التجانيين حجة في قضايا صوفية عديدة.



صارمة، قد أديا بالشيخ إلى توثيق كل معلومة واردة في الكتاب. ويقارن الدكتور روحان المنهج الذي تبناه الشيخ في تأليف الكتاب والذي اتخذه ابن مسكويه⁽¹⁾. ولم يكتف الشيخ بالدفاع عن الطريقة التجانية فحسب، لكن قد قام بتأصيلها وفق ما ورد في الكتاب والسنة. وسنسط القول في وقته السانح؛ لكون الكتاب محوريا في بحث آخر عن الفكر الصوفي للمؤلف.

(2) الرسالة اللطيفة:

وفي مستهل الرسالة، يبين الشيخ هدف تحريرها، والذي نفهم منه عدم تعصبه لطريقة صوفية معينة قائلا: « أنشأتها للغيرة الإيمانية، لا لتعصب وحمية »⁽²⁾، وهذا التصريح حجة على الذين أرادوا حبس فكرة الشيخ في بوتقة طرقات صيقة، مع أنه كان يرنو - من ناحية التصور الفكري - إلى أبعد من حدود الطريقة. وخير دليل على ذلك، تجسيده لحقائق اجتماعية واقعية تركبها أناس غير مريدي التجانية، ادعوا بالمشيخة أو سمو بالشيخوخ.



ويرجع قول شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه في أفضل صلاة الفاتح⁽³⁾، إلى ما ورد صحيحا في كتاب البخاري؛ حرصا على إفادة الناس في بيان مدى تطابق قول الشيخ بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وأثار صحابته، عليهم رضوان الله الأكبر...

(3) إحدى الحسينيين في علمي العروض والتصوف:

لم يقف كثير من الباحثين على إنتاجات علمية عروضية للشيخ سوى ما بات مشهورا بإحدى الحسينيين في علمي العروض والتصوف. لكن ثمة مؤلف خاص بالعروض والقوافي، سماه الشيخ بـ «الجواهر الكافية في علمي العروض والقافية»، إلا

MBAYE Ravane, «Le Grand Savant, Elhadji Malick Sy, Pen - 1 sée et Action», op, cit, Tome3, p.21

2 سي الحاج مالك، الديوان، المرجع السابق، ج3، ص: 202

3 قول الشيخ « لو بينت لكم حقيقة واحدة من حقائق صلاة الفاتح لأتيت أكابر العارفين بتلي ». قول أبي هريرة: « حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين من العلم فأما أحدهما فبثنته، وأما الآخر فلو بثنته قطع مني هذا البلعوم »

قد رسم الشيخ خلال هذه القصيدة خطوطا عريضة عن آليات التصوف لتربية النفوس وتركيتها بأسلوب لغوي عميق، وبنمط صوفي إشاري غامض. فذاك شأن مغزى قوله:

وَإِضْمَارُ نَفْسٍ حَبْنَهَا فَمَفَازَةً

وَوَقْصُ هَوَاهَا طَيُّ عُمْرِكَ لِلْهُدَى⁽⁵⁾

وَعَصْبُ قُرُوحِ الْأَثَمِ بِالتَّوْبِ مُبْرَى

وَعَقْلٌ وَكَفٌّ ثَمَّ قَبْضُكَ مَذُودَا

ولم يفته ذكر أنفس المصطلحات للأدب الصوفي، وما حواها من معان معرفية، مثل لفظة الإخلاص، الحب، التأسي بالنبي... بالجملة، تجلت بوضوح بصمات الفكر الصوفي في هذا المؤلف بوفرة الرقم.

(4) زجر القلوب عن حب الدار الخلوب

فلم تحذ هذه المنظومة عن تلك التي ألفت من المدونات الصوفية، وهي تشجذ همم السالك بترك ما يعيقه عن طريق القوم. ويتضح ذلك على أذهان من وقفوا على التسمية الحقيقية للكتاب؛ لأنه، قال: « نظمها العبد الفقير الجاني، الراجي عفو مولاه الحاني، ابن عثمان مالك، سلك الله به أحسن المسالك، وسميتها «زجر القلوب عن حب الدار الخلوب وخفير السالكين طريق العارفين»⁽⁶⁾. فإن صَحَّ التعبير بأن « عنوان الظواهر ترجمان البواطن »، يصح بطبيعة الحال، قول مؤداه أن الشيخ يمهّد - عبر هذا الكتاب - للمريد المبتدئ مسلكا متجاوبا مع آداب الصوفيين الكبار أو العارفين بالله الذين اتخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة.

قد أشار ضمن المنظومة قضية معرفية شائكة

4 سي الحاج مالك، الديوان، المرجع السابق، ج4، ص: 139

5 سي الحاج مالك، الديوان، المرجع السابق، ج6، ص: 208.

6 سي الحاج مالك، الديوان، المرجع السابق، ج7، ص: 14



فَتُخَسَّرَ فِي الدَّارَيْنِ دُونَ مِرَاءٍ

وقد تعرض الشيخ خلال المنظومة لمسائل عدة تنديدا وتوبيخا، تنبيهها وتوجيهها. وجل وحدات القصيدة حقائق واقعة في عرصات الشيوخ المتصوفين أو المتشيخين، ولم يكن يقبل التصوف بدون فقه للنصوص الشرعية، وكذلك العكس. وعلى سبيل المثال، فقد حدد الشيخ بعضا من العلاقات التي ينبغي أن تربط الشيخ بمريده، حيث قال:

أَلَا نَبْهُوا الْأَتْبَاعَ كَيْلًا تَوَاحَدُوا

بِمَا أَخَذْتُوا فِي الدِّينِ دُونَ سَوَاءٍ

عَلَى كُلِّ مَتَّبِعٍ دَلَالَةٌ تَابِعٍ

لِمَا هُوَ أَجْدَى لَا لِحَلْبِ عَطَاءٍ

وَتَعْلِيمِهِمْ فَرَضٌ وَلَوْ بِإِجَارَةٍ

وَالَا عَلَيْكَ الْأَثْمُ يَوْمَ لِقَاءٍ

تَفْقَهُنَا فَسُقْ بِدُونِ تَصَوُّفٍ

وَكُنْ سَائِلَ التَّثْمِيمِ دُونَ مِرَاءٍ⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: الكتابات الصوفية الخاصة بالتجانية



قد خلف الشيخ تراثا ضخما عن التجانية بشتى موضوعاتها، سواء ما يمت الصلة بمؤسستها وسنده العريق، أو ما يؤول إلى أורاد طريقته والشروط المرافقة لها. كما كان يدافع بأرائه ويعلمه عن الطريقة التجانية بوجه خاص، وعن التصوف بصفة عامة⁽⁶⁾.

ومن بين مؤلفاته عن التجانية وحقيقتها، اللاحق سرده:

(6) فاكهة الطلاب على نهج التجاني الخالص

5 المرجع السابق، ص: 12

6 من القلة أن تجد في مكتباته التجانية إلا وستلمح بشكل أو بآخر جنوحه إلى قاعدة عامة للتصوف، أو يُريد قولاً لمتصوف غير متمم إلى الطريقة التجانية.

لم تنزل تمثل إشكالية لدى كثير من دارسيها. وكان تناوله لهذه القضية - بأسلوب منهجي باهر - إشر لإملائه الآداب والأخلاق النبوية الكريمة التي ينبغي للمريد السالك أن يتدين بها أولاً، وكأنه يشير إلى أن تلك الغاية المعرفية لا يتوصل إليها أحد إلا عن طريق الميكانيكيات التربوية المعينة. فهو يقول منشداً:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الزَّادِ تَقْوَى الْهَنَاءِ

وَلَا تَخْشَ غَيْرَ اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ

وَلَوْ لَا سُكُونُ الْعَالَمِينَ لَغَيْرِهِ

رَأَوْهُ عَيْنَانَا وَالْإِلَهُ قَرِيبٌ⁽¹⁾.

وتبقى الإشكالية في البيت الثاني، لأن رؤية الله مباشرة من المسائل الصوفية التي لم تتم مناقشتها كثيراً في عرصات من سمو أنفسهم «بصوفيين سنيين». وهذا دليل على أن لفكرة الشيخ الصوفية مميزات خاصة بها؛ لأنه، لم يسبق لنا أن نعر - رغم قراءتنا المتواضعة - على مثل هذا القول من مؤلفات الطريقة التجانية التي ينتمي إليها.

(5) ولا تركن حبي لدار فناء:

«هذه القصيدة هوزية طويلة نظمها الشيخ الحاج مالك سه نصيحة للإخوان، وسبب إنشادها حسب ما أخبرنا الإمام محمد الأمين انيانغ⁽²⁾ عن والده الشيخ محمد الشير انيانغ عن مقدم البركة عبد فاط انيانغ أن الشيخ كان مع أتباعه في انجاندي يعملون في البستان، وحن وقت الصلاة ولم يسمع الشيخ الأذان - وكان مؤذنه في تلك الفترة الشيخ «مأم جور أمار» - فقام ونادي في القوم: «ألا من جاء منكم طلباً لرضا الله فليذهب للصلاة»، ثم أنشد قوله:»

وَتَارَكَ أَوْقَاتَ لُحْدَمَةِ شَيْخِهِ

كَعَابِدِ أَصْنَامٍ بَغَيْرِ مِرَاءٍ⁽³⁾

ثم روي أنه لما سافر بعد حين إلى اندر (سان لويس السنغالية)، فناشده مقدموه أمثال الشيخ «انجاي مابي»، وطلبوا منه بأن يعظ الناس عن الممارسات التي تجري في المدن من حب الناس للنديا، واختلاط الرجال بالنساء، ودعاوى بعض المتشيخين؛ أكمل ما قد بدأه قائلاً⁽⁴⁾:

وَلَا تَرَكْنِ حَبِي لِدَارِ فَنَاءٍ

1 سي الحاج مالك، الديوان، المرجع السابق، ص: 17

2 محمد الأمين انيانغ: فهو حفيد للشيخ الحاج مالك سي، لأن أم أبيه بنت مباشرة للشيخ الحاج مالك سه، وهو من أئمة المسجد الجامع في توارون.

3 سي الحاج مالك، الديوان، المرجع السابق، ج 7، ص: 12

4 قد وردت القصة كاملة في مقدمة القصيدة داخل المجمع الذي اعتنت به اللجنة الثقافية التابعة للحضرة المالكية



الأصلا ب:

قد تناول الشيخ في هذه المنظومة التي تربو على ستة مئة بيتا، كل ما ينبغي للمريد السالك في الطريقة التجانية أن يقف عليه ويتراعى معه من الآداب والحقوق والواجبات وشروط الأذكار الملقنة فيها، ويبين ما هو لازم وغير لازم منها، كما أوردها - معيدا - في كتابنا المدروس (إفحام المنكر الجاني). وقد ختم الشيخ هذه المنظومة بباب هام عن اختلاف الأولياء في الطرائق والمذاهب، وأشار إلى أن منشأ ذلك هو تباين الأذواق والمشارب.

وتبرهن خاتمة الكتاب على روح الانفتاح التي كان يتمتع بها الشيخ، وكذلك قبول ما عند الآخر في تصويره الصوفي؛ حيث يفهم ويتفاهم مورد الاختلاف دون الإشارة على ما عنده.

(7) نعمة عافي الجاني على وصايا سيدي التجاني:

تقع هذه القصيدة على خمسة مئة بيتا وزيادة، استلهم فيها الشيخ معاني وصايا الشيخ أحمد التجاني، ونظمها بأسلوب سهل ممتنع. وجه في البداية إلى جميع الإخوان المسلمين توصية بالمحافظة على أركان الإسلام، من الصلاة في الجماعة، والزكاة، والصيام قبل ولوجه في تنديد حال الناس من الانكباب على كثرة المعاصي، والإصرار على الذنوب. ثم يسترجع أمل اليائسين من عفو ربهم باقتراح حلول التوبة، والذكر، والصلاة على النبي، قائلا:

وَحَافِظُوا دَهْرًا عَلَى أَوْقَاتِ
تَسْتَوْجِهُونَ نَحْوَ ذِي الْأَوْقَاتِ
إِمَّا بِذِكْرِ أَوْ تِلَاوَةِ أَوْ

صَلَاتِكُمْ عَلَى الرَّسُولِ الْعَلَوِيِّ

وختم القصيدة - متكررا - بالمحافظة على الصلاة وكثرة الذكر بلا حد، وذهب إلى أن أقل ما يسمح للمريد من الصلاة على النبي كل يوم، هو ثلاث مئة، وإلا فقد خالف ما أوصاه الشيخ⁽¹⁾؛ لا اعتبره بأن لا حد لذكر الله:

كَانَ يَقُولُ كُلُّ شَيْءٍ حَدٌّ
رَبِّي سِوَى الذِّكْرِ فَلَمْ يَحْدَهُ⁽²⁾

(8) الرد على منكري قراءة الوظيفة جماعة في المسجد:

يستبين جليا في العنوان سبب تحرير هذه الرسالة، ومحتواها العام، كما صرحه في الاستهلال: »

جمعت لهم هذه الكلمات ليرتدعوا عن الإنكار...»⁽³⁾. قد جمع الشيخ في هذا المكتوب عدة نصوص دينية استدلالا، وكثيرة من أقوال السلف أمثلة واعتمادا؛ ليتحفظ منكر قراءة الوظيفة جماعة في المسجد عن الإصرار، لأنه، قد يوجد لها دليل قاطع، أو مسوغ منطقي في الحديث الذي أورده الشيخ في الرسالة، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». فعقب على الحديث - تخريجا - دأبه: راجع شرح العمليات. وختم الرسالة بقصيدة دالية رائعة، جاء مطلعها:

وَالْجَمْعُ لِلذِّكْرِ جَهْرًا قَدْ جَرَى عَمَلٌ
شَرْقًا وَغَرْبًا بِهِ يَا جَهْلٌ مَنْ جَحَدَا
إِنْ قُلْتَ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ يُؤَيِّدُهُ
قُلْتَ الْأَحَادِيثُ بِدَرْ فِي الدُّجَى اتَّقِدَا
وَإِنَّ صُوفِيَّةً فِي ذَاكُمُ اتَّفَقُوا
وَهُمْ أَسَاءَةٌ لِلدِّينِ إِذْ وَرَدَا⁽⁴⁾.

(9) الرد على من أنكر الشيخ الشريف سيدي أحمد التجاني:

قبل شروع الشيخ في هذه القصيدة أشار في براعة الاستهلال إلى الآية الكريمة: {...وهو معكم أينما كنتم...}⁽⁵⁾؛ لأنه يدافع عن شيخه في مسأله «معية الله لخلقه»، وما أولها هذا الأخير في نفي التحيز عن ذات الإله المقدسة.

قضية عقلية كلامية؛ قد ناقشها علماء الأمة بأبعاد مختلفة، كل يحاول تأويل الآية على حسب ما أوتي من أدوات علمية، وآليات معرفية.

وتخالف أفكار الصوفية التي تنبي على تجاربهم أفهام «العلماء الرسميين» أو الذين ينطلقون من ظاهرية النص وينتهون إليها؛ طبعا لاختلاف مصادر الإدراك لديهم. لقد بقيت من تصويره الصوفي العام مختزلة مطمورة في حنايا مدوناته، وتشكل موضوعات هامة لبحوث جادة.

شيخ التجاني جانج طالب

باحث في جامعة شيخ أنت جوب

3 سي الحاج مالك، المرجع السابق، ج3، ص:36.

4 المرجع السابق، ص:38

5 سورة الحديد، الآية:04

1 سي الحاج مالك، الديوان، المرجع السابق، ج3، ص:94

2 المرجع السابق، ص:117



وقف مع القصيدة التائية في مدح منقذ البشرية «يا ليتني»

للعامة: الشيخ الحاج مالك سه رحمته الله

التباكي بذكر الأهل والأحباء، أو الوقوف على الرسوم والأطلال، وغيرها، وإنما بدأها أولاً بمحاولة التخلص عن تقليد الشعراء الجاهليين، وأثر استهلال قصيدته بمقدمة طلبية فيها إشارة إلى أهداف سامية، وأخلاق نبيلة، تشارك في بناء الإنسان المسلم، وشحذ همته، وتحريك عاطفته، وتركيزه نفسه، وردعها وزجرها عن الملذات، ودعوتها إلى الرجوع إلى رشدها، لكنه سرعان أن رجع إلى التغزل بامرأة خيالية.

فهو في الحقيقة قد حاول التوسط بين المنهجين، فبدأ باتهام نفسه بالتقصير - كعادة الشعراء الصوفية - والتمني أن لو قدم أعمالاً خيرية تكون له ذخراً، وما ضيَّع عمره بذكر أوصاف سعدى أو غيرها من الحسنات، ثم يؤكد معاتبته لنفسه، ويقول: إن الركود ومواصلة التمنيات من غير القيام بكسر الشهوات النفسية وركوب المشقات هو عين الجهالة والحماقة، قال رحمته الله:

يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي جَدُّ الْحَمَاقَاتِ
دُونَ اجْتِلَابِ شِمَلَاتِ الْمَشَقَّاتِ
قَدَّمْتُ خَيْرًا وَمَا ضَيَّعْتُ مِنْ عُمْرِي

بذكر أوصاف سعدى في المقامات والمعنى: يا ليتني قدمت أعمالاً خيرية، ولم أضيِّع عمري بذكر أوصاف الحسنات في المناسبات وغيرها، وجلوس الإنسان وركوده مواظباً على تكرار أمنيات دون أن يجتهد في سلوك سبل السعادة باجتلاب المشقات هو عين الجهالة والحماقة.

إلا أنه بعد هذه البداية التي قد بين فيها أمنيته بعدم تضييع عمره بذكر أوصافهن، فسرعان ما يرجع ويبين لنا مدى حبه لمحبوته، وتصرفاتها معه: من إخلاف الوعود، ونكث العهود، فقال رحمته الله:

لَقَدْ شَغَفْتُ بِهَا حُبًّا وَمَا رَحِمْتُ
مَشْغُوفَهَا هَكَذَا حَالُ الْغُنَاجَاتِ
إِنِّي أَرَانِي ضَلًّا هَائِمًا وَلَهًا
يَا وَيْحَ نَفْسِي فِي تَبَةِ الْمُحَبَّاتِ
بِاللَّهِ يَا عُرْبَاتُ الْخُورِ قُلْنَ لَنَا
هَلْ فِي لِقَائِي سَعْدَى مِنْ مَوَاتَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته، وبعد:

فنحن اليوم أيها القارئ الكريم، والأديب الصميم في وقفة أمام القصيدة التائية في مدح منقذ البشرية (يَا لَيْتَنِي) للعارف بالله تعالى، الشاعر المكين، والصوفي الأمين، مولانا وحبينا ووسيلتنا السيد الحاج مالك سه رحمته الله، وهي قصيدة تتألف من خمسة وسبعين بيتاً، نظمها الشاعر في بحر البسيط ذي العروض المخبونة والضرب المقطوع. والقصيدة - كما هو ظاهر في العنوان - ألقت في المديح النبوي، ولا يسعني الوقت لإعراف أنوف الأقسام للكلام عن تاريخ المديح النبوي وعناصره ومضامينه إذ كتب الأدب مشحونة بهذه المواضيع، ويمكن للقارئ الكريم الرجوع إليها والتعرف عليها، وإنما سنشرع مباشرة إلى الكلام عن أهم مضامين هذه القصيدة في هذه الوقفة الأولى، ثم نحيل القارئ الكريم لوقفات أخرى عن النكت البلاغية والطرائف النحوية والصرفية واللغوية التي تضمنها القصيدة في الأعداد القادمة إن شاء الله الله.

مضامين القصيدة:

تتضمن هذه القصيدة عدة مضامين ومحاو، من أبرزها:

محور المقدمة الطلبية:

قد دأب الشعراء باستهلال قصائدهم بمقدمة طلبية (النسيب) يثيرون بها العواطف ويوقظون بها الهمم الراكدة، وكان أكثر ما يبدؤون به قصائدهم هو التغزل، وهذا بدء من العصر الجاهلي حتى إلى عصور إسلامية متأخرة، ثم جاء بعضهم فحاولوا التخلص من عبء تقليد مناهج الشعراء الجاهليين، وشرعوا في استهلال قصائدهم بزجر النفس وردعها، وبخاصة الصوفية منهم.

وإذا أمعنا النظر إلى هذه القصيدة التائية التي بين أيدينا نجد بأن الشاعر قد حاول فيها الازدواج بين المنهجين، فهو لم يستهل قصيدته - كعادة الجاهليين - بالتغزل عن الحسنات، أو إظهار الأسى والحزن عن مفارقتهن، أو وصف الصحارى والطبيعة، أو



إِنْ لَمْ تَكُنْ صَارِفًا رَبِّي مَكِيدَتَهَا
أَمِلْ إِلَيْهَا غَرِيقًا فِي الضَّلَالَاتِ
وَكَمْ يُورِّقُنِي طَيْفُ الْخَيَالِ لَهَا
مُسَاجِلًا مَوْهِنًا وَزُقَ الْحَمَامَاتِ
إِلَى أَنْ قَالَ:

كَأَنَّكَ الْيَوْمَ تَنْسِينُ الْعُهُودَ لَنَا
وَهَكَذَا حَالَةُ الْغَيْدِ الْفَتِيَّاتِ
عُهِدَتْ لَا تَذْكُرِينَ الْعَهْدَ وَيَحْكُ هَلْ
كَذَاكَ دَأْبُكَ سَعْدَى كُلِّ سَاعَاتِ
وَكَمْ غَدَرْتُ بَوَعْدٍ قَدْ وَفَّقْتُ بِهِ

وَبُنُسَ دَأْبُكَ اخْلَافُ الْوُعُودَاتِ
لكن يجب التنبيه إلى أن القوم صوفية أصحاب
الرموز والإشارات، فهم إذا أرادوا التعبير عن محبوبهم
الحقيقي، يرمزون له بإحدى محبوبات العرب
المشهورات، مثل: ليلي، سلمى، سعدى، دعد، هند،
وغيرها من الأسماء المشهورة، وهم بهذا يشيرون
إلى أن هذا الجمال الحسي الظاهر ما هو إلا من
تجليات الجمال الحقيقي الباطن، ذاك الجمال الأزلي
الذي أشار إليه ابن الفارض بقوله (عليه السلام):

وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ
مِنْ الْبُنُسِ فِي أَشْكَالٍ حُسْنٍ بَدِيعَةٍ
فَفِي مَرَّةٍ لُبْنَى وَآخَرَى بُنَيْنَةٍ
وَأَوْنَةً تُدْعَى بِعَزَّةٍ عَزَّتِ
وَلَيْسَ سِوَاهَا لَا وَلَا كُنَّ غَيْرَهَا

وَمَا إِنْ لَهَا فِي حُسْنِهَا مِنْ شَرِيكَةٍ
ومما يؤكد أن شاعرنا يشير إلى هذه المعاني
قوله وهو يخاطب سعدى، هذه المحبوبة الخيالية:

جُودِي سَخَاءً بِهِ رِضْوَانُ خَالِقِنَا
بَلْمَحَّةٍ مِنْكَ تُخَيِّي بِالذَّمَاءَاتِ
ثم إن المحب المتيّم قد يأتيه العاذلون
فيلومونه على فرط الحب والغرام، لكن شاعرنا قد
وقف لهم بالمرصاد، فأظهر تمتعه ورفضه التام لعذل
العاذل أو لوم اللائم، ومحاولة صرفه عن هذا الحب،
وبين أنه معذور، وأن من عرف حقيقة حبه سيقبل
عذرتة، ولم لا وحتى الرحمن الرحيم جلّ جلاله وعز
كماله قد قبل له هذا العذر، ورفع عنه الأقالم، يقول
(عليه السلام):

وَقَدْ ضُنِيتُ فَلَا أَضْغِي إِلَيَّ عَذْلُ
لَأَنَّ قَاضِيَ الْهَوَى مَاضِيَ الْحَسَامَاتِ

كُفَّ الْعُذُولَ وَلَا تَحْكِي حَدِيثَهُمْ
إِنِّي أَسْكَ لَأَرْبَابِ الْمَلَامَاتِ
وَقُلْ لَهُمْ غَرَضِي أَعْيَتْ إِصَابَتُهُ
سَهَامَ أَبْصَرَ عَلَامِ الْمَحَلَّاتِ
يَا لَأَيُّمُونَ فَعَاثُوا وَأَقْبَلُوا عُذْرِي
إِنَّ الْمُتَيَّمِ مَعْذُورُ الْمَزَلَّاتِ
يَلَامُ^(١) مَنْ قَبِلَ الرَّحْمَنُ عُذْرَتَهُ
وَعَنْهُ تَرْفَعُ أَقْلَامُ السَّمَوَاتِ

محور التخلص بالرجوع عن المحبوب الخيالي إلى المحبوب الحقيقي:

بعد هذه المقدمة اللطيفة شرع شاعرنا
بالرجوع عن المحبوب الخيالي إلى المحبوب
الحقيقي، وهو ما يسميه الأدباء والبلاغيون بـ(حسن
التخلص)، وعرفوه بأنه: (الخروج مما ابتدئ به
الكلام إلى الغرض المقصود بطريقة تجعل المعاني
أخذًا بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع
بالانتقال من نسيب إلى مدح أو غيره لشدة الالتزام
والانسجام^(٢)).

وقد صور لنا الشاعر في محاولته للتخلص
إلى المحبوب الحقيقي بأنه وإن كان لا يقبل عذل
العاذل أو لوم اللائم، إلا أنه يقبل النصيحة، لأنها
من الدين، بل هي أساسه، «الدين النصيحة»، وأن
ضيفًا ناصحًا أمينًا قد زاره وخوفه من عاقبة إضاعة
العمر في غير ما يرضي الإله، ثم ناجاه وناصحته بأن
يصرف أفكاره إلى ما يرضي رب العباد، وأن أفضل
ما يرضيه هو اقتفاء سنة النبي محمد ﷺ واتباع أثره
ومنهجه وأخلاقه السمحة، قال:

قَدْ زَارَنِي الضَّيْفُ يَا سَعْدَى يُخَوِّفُنِي
إِضَاعَتِي رَأْسَ مَالِي وَالْبِضَاعَاتِ
وَقَدْ إِخَالَ بِأَنَّ الضَّيْفَ مُنْفَرِدٌ
وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْأَقَامَاتِ
وَقَالَ لِي بَعْدَنَا جَيْشٌ سَيَلَحِقُنَا
وَلَسْتُ أَوْصَفُ أَوْصَافَ انْتِقَالَاتِ
نَاجَانِي الضَّيْفُ سِرًّا إِذْ يُنَاصِحُنِي
بِأَنَّ أَصْرَفَ أَفْكَارِ الْخُطُورَاتِ
إِلَى الَّذِي كَانَ يُرْضِي اللَّهَ مِنْ عَمَلِ
لَأَقْتَفِي سُنَّةَ السَّمْحِ السَّجِيَّاتِ

١ - قوله: (يلام) على حذف همزة الاستفهام، والمعنى: أ يلام...؟
٢ - جواهر البلاغة / السيد أحمد الهاشمي / ٣٣٠ / المكتبة المصرية
ط: ١ / ١٩٩٩ م.



هُوَ الْمُنَاصِحُ مَا فِي نُصْحِهِ تَهُمُّ
يَا لَيْتَهُ جَاءَنَا قَبْلَ الْخَسَارَاتِ

محور ذكر الصفات والأخلاق النبوية:

بعد هذا التخلّص الجميل البديع الذي بيّن فيه الشاعر بأن غرضه هو ذكر الصفات والأخلاق النبوية شرع معنا في ذكر بعض العناصر التي حملته إلى المديح النبوي، وتتلخص أهم هذه العناصر في الآتي:

١. الإشادة بصفاته ﷺ وأخلاقه:

فبيّن من خلال هذه المعاني بأنه ﷺ يستحق المدح لصفاته وأخلاقه الطيبة التي كان يتمتع بها، فهو سمح السجيات، المكلم من مسراه، شافعنا، خير الوسائل، خير الرسل والأنبياء، الحاوي لجميع مراتب الشرف، باب الخلق إلى الإله، الرسول إلى الناس عامة، من خصّه الله بالمحبة الصادقة، قال ﷺ:

أَرْجُو تَلَاْفِي رَبِّي بِالْمُكَلِّمِ مِنْ
مُسْرَاهُ شَافِعِنَا خَيْرِ الْوَسِيلَاتِ
مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَبْعُوثٍ حَوَى شَرَفًا
بَابَ الْإِلَهِ لِمَاضِي الْخَلْقِ وَالْآتِي
وَمَنْ أَرَادَ دُخُولًا عَنْهُ إِنْ لَهُ
طَرْدًا وَصَرْفًا إِلَى اضْطَبَلِ الْبَهِيمَاتِ
هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي عَمَّتْ رِسَالَتُهُ
كُلَّ الْأَنَامِ بِلَا شَكٍّ وَرَيْبَاتٍ
وَاللَّهُ شَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ كَرَمًا

٢. الإشارة إلى أنه ﷺ أصل الوجود

فالرسول ﷺ يستحق المدح، فهو أصل الوجود، ولولا ما كونت الأكوان، ولا أوجدت الموجودات، فيقول في هذه المعاني:

وَكَانَ مَنْ كَانَ إِظْهَارًا لِفَضْلِكَ يَا
نَضَرَ الدِّيَانَاتِ يَا كَشَفَ الْغُومَاتِ
لَوْلَا شُمُوسُكَ فِي الْآفَاقِ طَالَعَةٌ
مَا يَعْطُسُ الْفَجْرُ فِي لَيْلِ الْوُجُودَاتِ
لِلَّهِ دُرُكٌ شَمْسًا بَعْدَ مَا بَزَغَتْ
لَمْ يَغْلُهَا الْغَيْمُ يَا سَعْدَ السُّعُودَاتِ

٣. المعجزات التي خصه الله بها

وقد شرع الشاعر في بيان معجزاته بالإشارة

إلى ليلة مولده ﷺ، وبيّن أنها ليلة قد تحقق فيها كل الشرف بميلاد النعمة العظمى والوصلة الزلفى للبشرية جمعاء، وأن ليلة القدر مع جلالة قدرها وعظم نعمها تودّ أن لو حوت ما لليلة المولد من النعم والفضائل:

يَا لَيْلَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ

تَوَدُّ مَا قَدْ حَوَتْهَا مِنْ فَضِيلَاتٍ
ثم تطرق بنا إلى الكلام عن أغرب الغرائب التي وقعت في مولده ﷺ وبعثته، حيث أن بعض الكفار وخاصة الرهبان والقسيسين منهم كانوا يعلمون قرب مبعثه ﷺ حتى وصل بهم الحال إلى سؤالهم لأهل قريش: هل ولد فيكم مولود؟ وهل بعث فيكم رسول؟ لكنهم لجنون وهوس أصابهم قد أنكرو بعثته بعد أن تحقق لهم بأنه هو الرسول المنتظر، قال تعالى حاكياً قصتهم: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}،

أَنْبَا الْقِسْيُسُونَ وَالرَّهْبَانُ بَعْثَتُهُ

وَأَنْكَرُوا بَعْدُ، هُمْ أَهْلُ الرُّعُونَاتِ

جَاءَ الْكِتَابُ بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ هَوَسٍ

مِنْهُمْ وَكَرَّرَ فِي التَّسْفِيهِ آيَاتِ

وقد طوّف بنا الشاعر بعد ذلك في فضاء المعجزات النبوية التي تؤكد صدق رسالته ونبوته، ثم ركز على عشر خصال تعد من خصوصيات نبينا محمد ﷺ، فقال ﷺ:

..... وَالْبَدْرُ شَافِعُنَا

عَشْرَ الْخَصَالِ حَوَى دُونَ الْبَرِيَّاتِ

لَمْ يَحْتَلِمِ أَبَدًا قُلُوبًا لَهُ ظِلُّ

وَمَا تَشَاءَبَ هَذَا خَيْرُ سَادَاتِ

تَنَامُ عَيْنَا نَبِيِّ اللَّهِ سَيِّدِنَا

وَقَلْبُهُ الدَّهْرَ مَا ذَاقَ الْمَنَامَاتِ

وَمَا الذُّبَابُ عَلَيْهِ وَاقِعٌ أَبَدًا

وَتَزَرَّدُ الْأَرْضُ مَا مِنْ نَحْوِهِ يَأْتِي^(١)

سَيِّانٍ مَنْ كَانَ مِنْ خَلْفِ النَّبِيِّ وَمَنْ

أَمَامَهُ إِنَّهُ شَمْسُ الْخَفِيَّاتِ

لَقَدْ أَتَى الْأَرْضَ مَخْتُونًا فَيَا عَجَبًا

يَغْلُو مُجَالَسَهُ بَذْرُ الدُّجَنَاتِ

مَا اسْتَفَرَّتْ نَسَمَةٌ مِنْ حِينَ يَرْكُبُهَا

١ - قوله: (وتزرد): تتبع. وقوله: (ما من نحوه يأتي)، أراد به حاجة الإنسان.



قصائدهم، ويحرصون على جودتها وحسنها، فيجعلونها عذبة الألفاظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مناسبة للغرض، مشعرا بالتمام والانتهاء. وقد كان الدعاء والابتهاال والتصلية والتسليم من علامات ختام قصائد الإسلاميين، وبخاصة إذا كانت القصيدة في مجال المديح النبوي، حيث دأب الشعراء إلى إنهاء قصائدهم بمناجاة رب العباد، والاستشفاع برسوله ﷺ وصحابته وأهل بيته، والصلاة والتسليم عليه.

وعلى هذا المنهج سلك شاعرنا فتوسل، وابتهل، واستشفع، ودعا ربه الغفران، فقال (رحمته):

إِنِّي بِهِ وَبِمَنْ يُنْمِي لَهُ نَسَبًا
أَرْجُو مِنَ اللَّهِ غُفْرَانَ الْمَزَلَّاتِ
يَا آلَ بَيْتِ الْهُدَى هَذَا فَقِيرُكُمْ
وَمَنْ جَنَابِكُمْ يَبْغِي الْمُعُونَاتِ
لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ يَرْجُو جَوَارِكُمْ
وَوَالِدَيْهِ أَغِيثُوا ذَا الضَّرُورَاتِ
حَاشَاكُمْ الدَّهْرَ أَنْ يَلْفِي نَزِيلَكُمْ
يَحْتَاجُ لِلْغَيْرِ مِنْ أَنْوَاعِ حَاجَاتِ
لَأَنَّكُمْ يَا نُجُومَ الْمَجْدِ بَيْتَكُمْ
جُوفَ الْفَرَا وَنَهَايَةَ النَّهَائَاتِ

وقوله: (ونهاية النهايات) فيه حسن الختام، حيث يدل على تمام القصيدة وانتهائه وكماله، وإذا زيد عليه قوله: (جوف الفرا) الذي يضرب به المثل لمن يُفْضَلُ على أقرانه، زادت القصيدة بياناً وحسناً، وألهم السامع والقارئ بأنه لم يبق منها إلا التصلية والتسليم على الحبيب الممدوح وعترته الطيبين الطاهرين.

ثُمَّ السَّلَامَانِ مَا نَاحَ الْحَمَامِ عَلَى
رُسُولِكَ الْمُقْتَفَى بِدْرِ الْكَمَالَاتِ
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ
أَهْلَ التَّقَى وَالنَّقَى ذَوِي الْمُرُوءَاتِ
ثُمَّ عَلَى رُسُلِكَ الْهَادِينَ عَامَتَهُمْ

مثل الذي مرَّ ربِّي مِنْ سَلَامَاتِ
وبهذا تمام الوقفة الأولى، بانتظار الوقفات القادمة التي ستتناول ما في هذه القصيدة من استعارات، وتشبيهات، وجناسات، ومقابلات، واقتباسات، وإشارات، وغيرها من النكت البلاغية، والطرائف النحوية الصرفية اللغوية، إن شاء الله تعالى.

بقلم الأستاذ: الحاج عبد امبنع

هَآكَ الْخَصَالُ كَأَقْمَارِ سَنِيَّاتِ

ثم رجع بنا الشاعر إلى الكلام عن أقوى المعجزات النبوية وأكملها، وهو القرآن الكريم، الذي أذهل الفصحاء والخطباء البلغاء، وأفحم المخاضمين والمجادلين المعاندين، فهو المعجزة الكبرى الخالدة، والعروة الوثقى للبشرية، من تمسك به هُدي، ومن عمل به رشد.

كَفَى الْقُرْآنَ الَّذِي آيَاتُهُ بَهَرَتْ
كُلَّ الْعُقُولِ لِأَرْبَابِ الْبَلَاغَاتِ
هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي يَسْعَى وَيَشْفَعُنَا
فَعَدْنَا رَبَّ مِنْ أَهْلِ الشَّفَاعَاتِ
يَا مَنْ يُرِيدُ مَقَارًا غَيْرَ مُنْقَطِعِ
أَطْعِ أَوَامِرَهُ فِي كُلِّ سَاعَاتِ
وَالزَّمْ قِرَاءَتَهُ فِي الزُّمُومِ بِهَا
نَيْلَ النِّعَمِ الَّذِي أَعْلَى الْمَرَامَاتِ
٤. الإشادة بموقف الصحابة الكرام
ونصرتهم لنبي الرحمة ﷺ.

بعد الكلام عن مزايا الممدوح ومولده وبعثته، وما أعقبه من إنكار الكفار المعاندين، وحاجتهم إلى معجزات تبرهن لهم صدق رسالته ودعوته، شرع بنا الشاعر للكلام عن الصحابة الكرام، فبين (رحمته) شجاعتهم وبسالتهم وإقدامهم، ودورهم الفعال في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وتأسيس عرى الدين القويم، ودحض أباطيل المبطلين.

لَهُ كِتَابٌ خُضِرَ كَانِ دَانُهُمْ
ذَكَرُ الْإِلَهِ وَأَعْلَانُ الدِّيَانَاتِ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا يَوْمًا دُرُوعَهُمْ
عَوَّاسٍ فِي الْقَاءِ أَسْدُ الْعَرِينَاتِ
بَحْرٌ أَكْفَهُمْ وَإِنْ هُمْ لَبَسُوا
تِجَانَهُمْ فَبَدُورُ الْجَمَاعَاتِ

ثم يتخلص بنا الشاعر إلى الإشارة بطريقة من الطرائف، ونكتة من النكت، يمكن أن تعتبر بأنها هي الدرس والعبرة في هذه القصيدة، وهي أنه ﷺ مع هذه النعم الجسيمة التي وهبه الله إياها، والفضائل التي متعه الله بها، لم يكن متكبرا ولا فخورا، بل ظل لين الجنب، سموحا، فسوحا، فسبحا من خاطبه عز وجل بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

أَرَاهُ آيَاتِهِ الْكُبْرَى إِلَهُ سَمَا
وَلَمْ يَكُنْ بِفُخُورٍ لَا وَلَا عَاتِ
٥. محور الخاتمة:

تعد الخاتمة من العناصر الأساسية والمهمة في القصيدة العربية، فكان الشعراء يعتنون بخواتم

مدينة وتاريخ

العلمي، والاستماع إلى مواعظه المؤثرة في القلوب ، والمهذبة للنفوس، وقد شهد بذلك «بول مارتي» الكاتب الفرنسي في بحثه عن الإسلام في السنغال عند قوله: (إن الخاصية المميزة لزاوية الحاج مالك بتواون هي أنها تشكل جامعة شعبية حقيقية، فهي تكون عددا ضخما من الأساتذة والمعلمين لعلوم الشريعة الإسلامية ثم ينشرون عبر البلاد ويكونون بدورهم كوكبة من الأساتذة يساهمون على نشر مبادئ التعاليم الإسلامية.) ومن خلال هذا القول الذي أقره بول مارتي يتضح لنا أن الشيخ الحاج مالك سـه رضي الله عنه عندما استقر واستوطن مدينة تواون استطاع أن يجعلها ويصيرها معقلا علميا، وصرحا فكريا، وواحة روحية، تنطلق منها قوافل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فظلت زاويته منارا تشع منه أضواء التربية والثقافة الإسلامية إلى أرجاء البلاد، وإلى القطر الغربي الأفريقي. ومن هنا نقل الشيخ الحاج مالك مدينة «تواون» من حالة عاصمة مملكة «كيور» إلى مرتبة عاصمة الطريقة التجانية في المنطقة، وصيرها مركزا عاما للارتشاف الروحي، فحيث أشعل في ركن زاويته شعلة الاحتفال بذكرى مولد النبي الأكرم، صلى الله عليه وسلم لأول وهلة مخاطبا الأتباع وبني وطنه من المسلمين :

ألا عظموا ليل الولادة حسبة

إذا لم يكن نحو الحرام عدول

فمدرسة الشيخ الحاج مالك سـه رضي الله عنه المالك، منذ عهد تأسيسها ارتبط اسمها بزاوية المثقفين، لقد كون أتباعه الذين تعلموا منه تكوينا دينيا، وقافيا وروحيا، فوضع إطارا و مرجعا أخلاقيا وأديبا يستند ويلجأ إليه المتحدثون من العلماء وغيرهم، فصنع العديد من مؤلفات في السيرة النبوية، ألفها الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه لتمكينهم من امتلاك المواد العلمية الدسمة بسهولة وموثوقة، يعتمدون عليها في حالة الحديث أثناء هذه الليالي الموسمية النبوية الشريفة، وبعد كتابه الموسوم بـ: «خلاص الذهب في سيرة خير العرب» أهم هذه التصانيف، يرتوي من معينه الذي لا ينضب القاضي والداني، ويبلغ عدد أبياته ألفا وستين بيتا (وقد ألفه الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه في غضون واحد وعشرين ٢١ يوما، ولكن لا غرو في ذلك لأن

لم يكن اسم مدينة «تواون» قبل قدوم الشيخ الحاج مالك سـه رضي الله عنه إليها معروفا ومرتبنا ومدونا في سجل وقائمة المدن الإسلامية السنغالية، وعلى الرغم من موقعها في قرب من مدينة «بيير» ذات الشهرة في نشر الإسلام وثقافته، في حين أن المسافة بينهما بمسيرة ساعات من الزمن.

استطاع الشيخ الحاج مالك سـه رضي الله عنه بتوفيق الله، وبمكاسبه الشخصية في فترة وجيزة من زمن حضوره ووصوله إلى مدينة «تواون» أن يغير ويعدل سلوك جل السكان، بعد أن كانت اهتماماتهم تتجه إلى الملذات والحظوظ النفسية، والنزوع والميل إلى اللهو وحب الراحة والدعة والطرب، والغناء متأثرين بطبائع وعادات وتقاليد موروثة من طبقة «تيدو» التقليديين حلفاء الاستعمار، وأصحاب السلطة، وقد أصيب أهل تواون بدهشة وإعجاب من هذا التغيير والتحول الجذري السريع الذي أحدثه الشيخ الحاج مالك بها، فيقول الدكتور عثمان جا: «لم يخطر ببال أحد من أهل تواون الذين الفوا الطرب واللهو والتفنن في القول أن بقعتهم هذه ستغدو في يوم من الأيام منارا من منارات الإسلام في بلاد «كجور» وقبله يرتادها ويؤمها التجانيون وهواة الثقافة الإسلامية في كل وقت، وذلك لما رحبوا بالشيخ الحاج مالك سي ليقطنها ويستقر فيها داعية إسلاميا».

وبعد مرور حقبة من الزمن بدأت المدينة تحتضن سنويا مناسبة احتفال عالمي كبير، لذكرى ليلة المولد النبوي الشريف، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحابه أفضل الصلاة والتسليم. ويقول المرحوم الدكتور عثمان جا: «ولما وصل العارف بالله، العالم العلامة، المربي، الفهامة الشيخ الحاج مالك سـه رضي الله عنه، إلى صعيد تواون وقد اعتلت كعبته، وانتشرت شهرته، وطار صيته في الآفاق، وقويت شوخته، وثمرت تجاربه، ولاح نجمه في سماء العلم والعرفان، اتخذها معقلا لنشر الإسلام والطريقة التجانية».

وفور قدومه إليها أسس مسجدا جامعيا بالتعاون مع رموز المدينة من التجار والأعيان من السكان المسلمين. ولم تمض إلا راحة من الزمن حتى دانت له الدنيا والتف حوله الناس لحضور مجلسه



الإمام السيوطي ألف ألفيته في علم الحديث خلال خمسة أيام فقال:

نظمته في خمسة الأيام بقدره المهيمن العلام

وقد أثبت حفيده الشيخ أحمد التجاني سه المكتوم رضي الله عنه في كتابه «مجهول الأمة السنغالية: الذي كتبه للتعريف عن جدّه الامام العلامة الشيخ الحاج مالك سه هذه الحقيقة والعناية التي قد يمنحها المولى عزو جل لمن يشاء للصالحين من عباده، قائلاً: «إن حياة الانسان لا يخلو من العجب، وإن حياة العظماء في ما وراء ذلك أشمل بالعجب».

وعليه، فقد أشاد الشيخ سعد بن أبيه الشاعر الموريتاني بشهرة ورياسة هذه المدرسة بنظامها التعليمي والتربوي الفعّال، مادحا الشيخ الحاج مالك سه، ومنوّها - من خلال مديحه إياه بمكانة ودور مدرسته - زاويته - التي ارتقت في نشر العلم والتربية وقتتد إلى منزلة جامعة شعبية لكثرة من كان يرتادها من العلماء وطلبة العلم، قيامها بدور ريادي في استقبالهم بالترقيم والتربية، تربية إسلامية متكاملة، ولكنها قائمة على الوسطية، قال تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا»، وتتجلى وسطية التربية في الزاوية المالكية بمدينة توارون في الجمع والتوفيق بين الشريعة والحقيقة، كما ورد في المقولة الحكيمة «من تصوّف ولم يتفقه فقد تفسّق، ومن تفقه ولم يتصوّف فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق». وقد وشّح الشيخ سعد أبيه رضي الله عنه للشيخ الحاج مالك سه - رضي الله عنه - مؤسس الزاوية مجموعة أوصاف وسمات من الاعجاب تجاه شخصية الشيخ الحاج مالك، مثل علوّ همّته، وبصيرته الثاقبة، وجهوده المتواصلة إلى غاية تأسيس هذه القلعة العلمية العريقة، هذه المدرسة العريضة، تستقبل الوفود من كل حذب وصبوب، للارتواء من معينها الفيّاض، وقد جعل ورفع الشيخ سعد أبيه هذه الجامعة الشعبية التوافقية فوق سلم ومصاف المراكز الإسلامية المشهورة في هذا القطر، فأنشد له:

على فائق الأقران مالك دهره
بعود سلام طاب ليس له حد
تطيب به الأفراح إن فاح نشره
وفي طيه من عندنا الود والعهد
فموجب إنا جعلنا جزاؤكم
يقوم به عنا لك الصمد الفرد
فأفضاله السامي عزيز منا له
وإن سامة المخلوق يقصّر به الجهد
مدارسه في العلم خير مدارس
وأوراده في الذكر ما مثله وزد

ومن خلال هذه الأبيات يعلن الشاعر الأديب، العلامة الشنقيطي الشيخ سعد أبيه بأن الشيخ الحاج مالك عالم جليل القدر ومرجع إسلامي رفيع الذكر، وأستاذ مرب قدير، لا يجارى ولا يطاول، ولا يشقّ غباره في منهج التعليم وأسلوب التربية، بقوله: «وإن سامة المخلوق يقصّر به الجهد».

فها هو الشيخ محمد البشير امبكي رضي الله عنه يدلى بشهادة حقّ وثاء طبّب تجاه الشيخ الحاج مالك سه في كتابه «من الباقي القديم» شهادة تتم عن صفاوة الطوية وحسن النية والمحبة الخالصة والاحترام والتقدير، والاعجاب بخصائص واخلق وهمة الشيخ الحاج مالك سه، منوها بعري العلاقات الطيبة والصدقة الحميمة والقرابة الدموية، التي تربط بين الشيخ الحاج مالك سه وبين والده الشيخ أحمد بمب، - رضي الله عنهما - قائلاً: «ومنهم من أهل بني جلدته أيضا العالم الجليل، الشيخ الحاج مالك سه مجدّد التجانية في هذا القطر وامامها، السنيّ الورع، أحد أئمة المسلمين وجهابذة الصا لحين، فإنه كان أسن من شيخنا بل أسن من أخي شيخنا، محمد شقيقه، الذي هو أكبر. وقد جرت بينهم عرى الأرحام المتقاربة، فإن الوالد الشيخ الحاج مالك ابن أخت الشيخ الوالد، أبو شيخنا، وكانت هذه الرحم موصولة بينهم، من الطرفين، وكانت المراسلة بينهما دائمة والبروات، لا تحدث حادثة لها بال عند أحدهما إلا ويرسل لإخراعلاما، وكانا متصافين، زاره شيخنا في قرية «انجارد» في كجور، لبث ضيفا له مدة غير طويلة، وركب الجاج مالك لتشيعه مسافة طويلة، وتهاديا مرّت، أذكر من بينها كتابا أهده له الحاج مالك سه مع بيتين..... ولم تنقطع المراسلة بينهما بعد غيبته الى البحر، إلى أن توفي الشيخ الحاج مالك قبله بسنتين، وأتيته مرارا في منزله بالمدينتين «اندز» و «تواون»، وكان يكرمني غاية الاكرام، ويسألني عن شيخنا وسائر الأقارب، ويبش في وجهي كما هي العادة في عباد الله الصالحين.» فجازه الله تعالى خيرا، فإنه رضي الله عنه كان ناصحا للإسلام، لئن الجانب، ورعا مستقيما، جليلا في القلوب والأعين»، انتهى. أيها القارئ الكريم هذه شهادة الشيخ محمد البشير امبكي تجاه الشيخ الحاج مالك سه، وللمقالة بقية.

عبد العزيز سار باحثا وكاتبا
للشيخ محمد المنصور (بروم دارج)
تواون - السنغال



الرحمة المحمدية

محل التأسي وبريد الترقى

محل قدوتهم أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظاهرة وأحواله الباطنة فيما للخلق حظ فيه ومكنة للخلق بمقتضاه والتحقق بمعناه.

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله في «لطائف الإشارات» شارحا معنى آية. الاقتداء: «كان صلة، ومعناها: لكم في رسول الله أسوة حسنة، به قدوتكم، ويجب عليكم متابعتة فيما يرسمه لكم.

وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله على الوجوب بأفعاله وأقواله، وإن كان غير مكتسب له فهي خصوصية له، لا ينبغي لأحد أن يتعرض. لمقابلته لاختصاصه - صلى الله عليه وآله وسلم - بعلو رتبته ... انتهى المقصود منه.

• الرسول رحمة الله للعالمين

وعليه، فإن. باب الدعوة قائم على الرحمة المحمدية، وتربية النشء متوقف على حقيقة الرحمة المحمدية، ومن. سلك مسك. الدلالة على الله والنيابة فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متجردا من خلق الرحمة ومسلكا من صفة الحلم والعفو والرافة، فلا حظ له في الاهتداء ولا حق له في الإرشاد ولو زعم ذلك بالادعاء.

فإن الحديث عن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن نتجاوز فيه أو أن نرغب إليه دون المرور، بل الوقوف على المحطات القرآنية، التي أشارت إلى جميل صفاته وعلو أخلاقه وسعة رحمانية الله به، بعبارات غاية في البلاغة وآية في الإبداع والفصاحة، وصيغ مثالا في الإيجاز المتضمن لطائف الإعجاز، وأخرى. نموذجا في تطويل المحتوى على ضروريات التفصيل.

فمنها قوله تعالى كما «وإنك لعلی خلق عظیم» القلم/ 4، ومنها قوله تعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» الأنبياء/ 107، ومنها تعالى: «الضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى، والآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى» الضحى/ 1-5، ومنها قوله عز وجل، «وما الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله. معذبهم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم
أما بعد،



• سابقة

قال الله سبحانه وتعالى «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا»، وهي أصل من أصول العون على السير الحثيث إلى باب الله الذي من صوله وطرقه استدعاه وأعطاه ورفاه، فلا وصول إلا بدليل ولا دليل موصل إلا بعد أن يكون خبر الطريق، وفقه السير فيها بالتحقيق، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد خبراء السير إلى الله وأشرف من عرف الطريق الموصل إليه عز وجل.

ولذلك كان حرص أولياء الله والمشايخ الدالين على الله في سيرهم وفي تسليكهم لغيرهم أن يكون مبنيا على الهدى المحمدي ومكتفيا للنهج الأحمدي المصطفوي، فلذلك وصلوا ووصلوا، وسلوكوا وسلوكوا وبلغوا وبلغوا رضي الله عنهم، حتى إنهم كانوا يتنفسون. الحقيقة المحمدية في حركاتهم وسكناتهم، ويكررون المشكاة الأحمدية في أحوالهم وأقوالهم.

ولم يكن ادعائهم التسنن والاقتداء ولا زعمهم الاتباع والاقتداء منحصر في رسوم تظهر على أبدانهم، ولا لباس يميزهم عن سواهم، وإنما كان



وهو استعمال دقيق لمن عرف الفرق بين اللفظين في حقيقتي النبوة والرسالة.
فالناس لا يعرفون في الغالب عن سيدنا محمد إلا رسالته، وهي الصفة التي لزمته منذ أن نزل عليه

وهم يستغفرون» الأنفال/33، وغيرها من الآيات التي دلت تصريحاً وتلميحاً إلى عظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسعة رحمته بالخلق عموماً وبالمؤمنين خصوصاً.



الوحي وهو ابن أربعين سنة أما نبوته فكانت صفة له قبل أن يخلق هيكله الشريف.

فقد روى الحاكم في «مستدرکه» مرفوعاً: «كنت نبياً وأدم منجدل في طينته»، وفي رواية «وآدم بين الطين والماء»، وفي أخرى «وآدم بين الروح والجسد».

فهذا حديث يفيد أسبقية نبوته صلى الله عليه وآله وسلم على رسالته، ولذلك عبر القرآن عن أوليته باسم أحمد وعن آخريته باسم محمد.

وللك أن تفهم بناء على هذا، كيف أن سيدنا عيسى لما بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم عبر بأحمد كما في قوله تعالى «ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»، الصف/5

• تأملات في آية الرحمة والرأفة

قوله (من أنفسكم) أي من جنس البشر، وإنما كانت بعثته لهم ولغيرهم إشارة إلى تفضيل الجنس البشري على غيره من الأجناس.

وقد قرأ ابن عباس وابن محيسن والزهري (من أنفسكم) من النفاسة، أي من خيركم قبيلة

وسأحاول أن أقتصر في هذه العجالة على النظر في قوله تعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»، التوبة 128-129.

وليكن أول ما يثير انتباهنا هنا هو أن الخبر الذي جاء في هذه الآية استأنفه الحق تعالى بقسم يدل على التوكيد، وهو «لقد»، ومعلوم أن الصادق في نفسه لا يقسم ليصدق في خبره، بل يقسم ليؤكد على ما ينطوي عليه خبره.

وهو الحال هنا، فإن الحق سبحانه وتعالى أصدق في وعده وخبره، وإنما أقسم هنا توكيداً على عظيم قدر المخبر به هنا، ولفناً للأذهان والأبصار والبصائر لعلو شأن المتحدث عنه، وهو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الرحمة المهداة.

• بين النبوة والرسالة

المتأمل في هذه الآية خاصة يرى أن القرآن استعمل في هذا الخبر لفظة «الرسول» بدل «النبي»،



وأُسرة، كما ورد في الصحيح عن وائلة بن الأسقف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ كَنَانَةَ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَى قَرِيشًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارِ مَنْ خِيَارَ».

قوله تعالى (عزيز عليه ما عنتم) أي أن كل ما يشق على أمته شاق عليه هو أيضا، وما ذلك إلا لمزيد رحمته وواسع رأفته بأمته، بل بغيرها من الأمم، بل إن رحمته وسعت الكل، بما في ذلك الدواب والبهائم.

فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم منبها على عظيم جرم المؤذي هرة: «دخلت النار امرأة في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

(حريص عليكم)، فهذه الكلمة هي التي جمعت معاني الرحمة المهداة في جناب الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، فإن حرصه على أمته وعلى غيرها شمل كل جانب من جوانب سعادة البشرية، فاشتغل به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واهتم له وحرص عليه، ولذا ذكر هنا صورا من حرصه على الناس عموما وعلى المؤمنين خاصة:.

حرصه على إنقاذ أمته يوم المحشر، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة قال: أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحيم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الإنسان: ألا تهرؤن ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يسفح لكم السي ريكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بأدم، فيأتون أدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول أدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمأك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه

قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليفه من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنني قد قتل نفسي لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فتأتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتح على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحميم - أو كما بين مكة وبصرى.

حرصه صلى الله عليه وآله وسلم على إنقاذ غير المسلمين من الكفر والفرح بذلك، فقد روى مسلم في «صحيحه» عن أنس قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «اسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».



وفي التعبير من البيان والبلاغة ما تعجز
السنة الفصحاء عن الإتيان بمثله، إذ الرأفة والرحمة
تجتمعان في صورة موحدة عامة، لكن بينهما فرق
دقيق، وكلاهما اجتماعا في نبي الرحمة.

أما الرأفة فهي من أثر الشفقة والحرص، الذي
يترتب عليه دفع كل المضار على المرؤوف به، وكل
ما منعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكرهه
فهو من أثر رأفته كما قال القرآن (ويحرم عليهم
الخبائث) الأعراف/ 122.

وأما الرحمة فهي من أثر الإحسان الذي يترتب
عليه جلب المنافع، وما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم إلا بخير وما بين إلا خير، والقرآن يقول:
(يحل لهم الطيبات) الأعراف/ 122.

هذا، وإن المتبصر في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم يرى نماذج الرحمة المهداة بما لم يوجد
له مثيل في تاريخ البشرية.

• لاحقة بقلم العارف بالله الحاج مالك سه

قال العارف بالله العلامة سيدي الحاج مالك
بن عثمان سه، رضي الله عنه في «خلاصة الذهب»
وقد توالى على الآفاق واتصلت

بشرى الهواتف في ميلاده الكرم
خرت لمولده الأوثان وانبعثت
ثواقب الشهب ترمي الجن بالرجم
تنزلت أسطوانات الملوك ككعب
بة ثلاثة أيام فلم تقم
مالت ممبلا مع الأركان أو سجدت
تعظيم مستوجب التعظيم محترم
وفي الولادة منه الجفنة انفلقت
والانفلاق عجاب عند قومهم
وقد هوت شرفات البيت وانهدم ال
أيوان والماء مثل النار في الزرم.

بقلم الفقير إلى الله تعالى
عدنان بن عبد الله زهار
التجاني المغربي
الله وليه

حرصه على التيسير على أمته في التكاليف: إذ
قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في البخاري عن
أنس: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه،
فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة
وبشيء من الدلجة».

ومعلوم أن كل أحكام الشريعة ميسرة، وأن دائرة
التحريم فيها ضيقة، ودائرة المباح فيها واسعة.

وعلى هذا جرت العادة في الشريعة الإسلامية
بخلاف شرائع سابقة لها كان فيها التكليف والتشدد،
كما صوره القرآن في غير مناسبة.

حرصه على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام،
فقد كان شديد الحرص على هدايتهم وكان يدعو
لهم، مع عداوتهم للإسلام وعدائهم للمسلمين، وقد
عفا عن المحاربين له وقاتلين قرابته وأصحابه، ولا



أحد ينسى. قصة قوله «أذهبوا فأنتم الطلقاء».

قوله تعالى (بالمؤمنين رءوف رحيم) عطف
الخاص على العام، فبعد أن بين أن الرحمة المهداة
سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عامة لكل
موجود أشار إلى اختصاصه أتباعه وأحبابه وأمه
برحمة معينة، وهي الرأفة والرحمة.



جهود الشيخ الحاج مالك سي

في الحث على اتباع الهدي النبوي الشريف

اتباعها واقتفاء آثارها، قولاً وعملاً، ليتجلى للقارئ جهوده في الحفاظ على الهيكل الديني المؤسس على الكتاب والسنة، وذلك من خلال النقاط التالية:

- زفرات الشكوى من إهمال السنة وإيثار البدء
- زجر المتذرعين بالكشوفات والكرامات لإهمال السنة المطهرة
- الحث على اتباع الهدي النبوي والعرض عليه
- زفرات الشكوى من إهمال السنة وإيثار البدء

إن للشيخ الحاج مالك سي أسوة حسنة في الصالحين، فمن رجع البصر إلى كتاباته كرتين يرى أن منهجه الدعوي يستقي استراتيجياته من منهج الأنبياء - عليهم السلام - ذلك أنه يزجر تارة وينصح أخرى {بشيراً ونذيراً} (١)، وإذا ما بلغ السيل الزبى اشتكى إلى الله تبرا لزمته من كل ممارسة مخالفة، ورجوعاً إلى قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب - عليه السلام -: {إنما أشكو بشي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون} (٢). لنركب معا - أيها القارئ - سفينة من سفن شكاياته لنستشعر مدى اضطراب السفينة من شدة شكواه. يقول:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَلِّى وَجُمَلَتِي
فَإِنِّي فِي هَذَا الزَّمَانِ غَرِيبٌ
أُعَانِي حَرَارَاتِ الْفُؤَادِ لَتَنْطَفِي
وَقَدْ زَادَ مِنْ ضَيْقِ الزَّمَانِ لَهَيْبٌ
وَلَوْلَا تَمَنَّى الْمَوْتِ مِنْ فَيْكِ مَنْعُهُ
تَمَنِّيْتُهُ إِنِّي إِلَيْهِ أَتُوبُ
زَمَانُ أَنْاسٍ فِي إِمَاتَةِ سُنَّةٍ
تَمَالَوْا وَبَثَّ الْعِلْمُ فِيهِ عُيُوبٌ (٤)

2 سورة البقرة/ آية 119

3 يوسف/ آية 8

4 ديوان الشيخ الحاج مالك سي، بجمع وترتيب الشيخ أبي بكر امبي،

الحمد لله الهادي

من عباده من يشاء إلى
سواء الطريق، حمدا
يليق بجلاله وجماله،
ثم الصلاة والسلام على
الرحمة المهداة، سيد
كل عرب وعجم مولانا
محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أولي
النهي.



وبعد: فإن لله تعالى {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً} (١)، رجالاً حافظوا على دينه، وشددوا الوثاق على سياجه، بحفظهم سنة نبيه - ﷺ - وحماية آثاره من كل محو وعفو، ومن بينهم الشيخ الحاج مالك سي، ذلك الرجل الذي قضى نحبه في الذب عن الدين، وحفظ سنة رسوله الأمين ﷺ.

نعم طبعي للغاية أن يتزيا الشيخ الحاج مالك سي بهذه الحلة المسؤولية العظيمة؛ ذلك لأن حياة عالم لا تخلو من تأثير أيا كان، تلك سنة الله في علمائه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، بيد أن ذلك التأثير قد تتفاوت درجاته من عالم لآخر، إذ كل ميسر لما خلق له، وقد خلق للدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وفطر على الإخلاص فيها والصراحة في الصدع بالحق وفق ما امر.

لذلك، فإن من يبحث في كتاباته يلفيها روضة غناء، وحلقة غاصية بثمار يانعة من أفانين ذات ألوان مختلفة. فعندما نصوب النظر إلى مدى اهتمامه بالهدي النبوي والدفاع عن السنة، والحرب ضد البدع المستقبحة، نجده فيها فارس الميدان، وحامل لواء الجهاد.

ولعلنا نقف معكم في هذه الورقة المختصرة على نماذج من كتاباته الكاشفة عن مدى اهتمامه بالسنة النبوية، ودفاعه عنها، وحشه الأتباع على



فَصَارَ ذَا الدَّهْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَدْعٍ
فَهُمْ يَقُولُونَ هَذَا الْمَرْءُ قَدْ رَعُنَا
وَإِنْ أَشْرْتَ إِلَى تَرْكِ ابْتِدَاعِهِمْ
تَكُنْ لَهُمْ هَدًى إِيَّاكَ وَالْحَزَنَانَا⁽⁴⁾

عندما ندقق النظر في هذه النماذج التي
أوردناها نحس بالغيرة التي تكتنف الشيخ الحاج
مالك، حرصا على دينه وحبا لنبينا ﷺ.

• زجر المتذرعين بالكشوفات والكرامات لإهمال السنة المطهرة

لا شك أن الكشوفات والكرامات خوارق أثبتها
القرآن والسنة، لذلك نجد الشيخ الحاج مالك سي
يثب وجودهما لكن بضوابط محكمة، يقول: « كما
أن للأنبياء المعجزات، فلأولياء كرامة لهم، ولكن
بقيدتها وهو التقوى، وهي الامتثال والاجتناب،
وإن لم تكن التقوى فكل ما ظهر من الكرامات
والخوارق فهو استدراج⁽⁵⁾ » ويقول - أيضا -:

وَالْكَشْفُ حَقٌّ وَلَكِنْ شَرْطُ صِحَّتِهِ
وَفَاقُهُ سُنَّةُ الْمُنجِي مِنَ الشَّجَنِ
وَمَنْ مَضَى كُوشِفُوا لَكِنْ كَشَفُهُمْ
مُؤَافِقٌ أَبَدًا مِنْ ظَاهِرِ السُّنَنِ
وَلَا تَرَى الْيَوْمَ كَشْفًا غَالِبًا نَفْتِي
أَلَا وَخَالَفَ مَا فِي شَرْعِنَا الْحَسَنِ
وَمَنْ يَكُنْ كَشَفُهُمْ تَرْكًا لِمَا أُمِرُوا
فَشَيْنُهُمْ مُهْمَلٌ لَا تُعْجَمَنُ تَهْنِ⁽⁶⁾

فهو مع إيمانه بالكشوفات، وإثباته حدوثها
لبعض السلف، يرى أن معقلها الشرعي هو موافقتها
السنة النبوية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على
شدة امتثاله بالهدي النبوي، والحذر من الخروج
عن حظيرة السنة، بالتخلي من كوابيس الخرافات
والكرامات الغاشية قلوب العبد، يقول زاجرا هُوة
الكرامة:

تَطْلُبُ كُلُّ يَوْمٍ الْكَرَامَةَ أَلَمْ تَرُمْ مِنْ قَبْلِهَا اسْتِقَامَةَ

4 ديوان الشيخ الحاج مالك، مصدر سابق، ص 406

5 سي الحاج مالك، إفحام المنكر الجاني، بخط صمب جانج، ص 387

6 سي الحاج مالك، كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين،
خط صمب جانج، ص 594

فهو - ﷺ - افتتح الشكاية بنداءات الترحم إلى
حبيبه المصطفى ﷺ مستغنيا به، مؤكدا له إيمانه بأنه
هو رسول الله، وهذا التوكيد يلوح ضمنا إلى قوله
تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهاوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب} ⁽¹⁾. ثم بدأ
الشيخ يشتكي من غربته ومعاناته، وحق له أن يشتكي
ويستغيث؛ إذ قلما يجد لنفسه أترابا ارتقوا إلى رتبته
في العمل بالسنة النبوية كما هي، ما جعله يحس
بالغربة، والأدهى من ذلك وأمر هو رؤيته آخرين
من بني جنسه يستهينون بها، وعن العلوم يتغافلون
بدعاوى لا أساس لها في الدين مستحدثين بدعا ما
أنزل الله بها من سلطان.

وكان ذلك الجرح الأليم يمليه كلمات التعوذ
بالله من التهاون بشيء من أوامر رسول الله ﷺ،
يقول:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ إِخْلَالِ مَا شَرَطَ الـ
سَّهَادِي الشَّفِيعُ عَلَيْنَا خَيْرُ مُؤْتَمِنٍ
وَمَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ شَرْطٍ أَوْ لَهُمْ

أَحَقُّ حَقًّا بِإِيْفَاءٍ فَلَا تُخَنِ⁽²⁾
ويرى أن العجب العجيب الداعي إلى الدهشة
هو تخلي أهل الزمان عما كان عليه أفضل الخلق
- ﷺ - وأصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين -
وإثارهم البدع المستحدثة التي لا أصل لها من
الدين، يقول:

وَكَيْفَ يُتْرَكُ أَصْلُ كَانَ شَافِعُنَا
عَلَيْهِ مَعَ صَحْبِهِ مِنْ قِلَّةِ الْفِطَنِ

رَبَّاهُمْ كُلُّهُمْ حَقًّا بِهِمَّتِهِ
لِذَا لَهُمْ أَفْضَلُ الْأَخْلَاقِ وَالسُّنَنِ⁽³⁾

بل كانت جمرة اللظى التي فجرت في قلبه -
قنابل الشكاية تشوه صورة الدين في نظر الناس،
حيث أصبح العالم الداعية بالقرآن والسنة المطهرة
منظورا إليه بنظرة استهزائية، أما المتعالم المبتدع
فهو في نظرهم الشخص المقدس، وغيره مجنون
جامح. يقول الشيخ شاكيا:

2012م، ص 387

١ سورة الحشر/ الآية ٧

2 سي الحاج مالك، إفحام المنكر الجاني، بخط الشيخ صمب جانج،
ص 639

3 المصدر نفسه، نفس الصفحة.



وَرُبَّمَا تَصَمَّنَ اسْتِدْرَاجًا كَرَامَةً لَا تُخْطِئُ الْمُنْهَاجَا

فمن هنا ندرك أن فكر الشيخ الحاج مالك سي جاثم على الاستقامة لا على الكرامة؛ إذ الأولى تهدي إلى الهداية والثانية تقود -غالبا- إلى الضلالة لما فيها من ملاسبات نفسانية وشيطانية تزخرف للناظر إليها وجهها فيحسبها حسناء فإذا هي مفروكة في ثياب عروبة.

لهذا، يؤكد الشيخ الحاج مالك سي -في غير ما موضع- أن اقتفاء آثار الحبيب المصطفى -ﷺ- لخير منهج يستنه المسلم، عملا بقوله تعالى في مخاطبته النبي ﷺ: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون} (1) يقول مشيرا إلى الآية:

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ - قَالَ اللَّهُ جَلَّ - عَلَى

شَرِيعَةٍ فَاقْرَأْ لِلْخْتَمِ تَسْتَكِنِ

وَبَاطِنٌ لَمْ يُوَافِقْ مِنْ شَرِيعَتِنَا

فَاكْتُبْهُ بِاللَّامِ لَا بِالنُّونِ كَالْفَطْنِ

وَفِي الْخِطَابِ عُمُومٌ لَا تَخْصُّ بِهِ

رَسُولَنَا الْمُصْطَفَى الْهَادِي إِلَى الْمُنَنِ (2)

وقال -أيضا-:

وَكَمْ بَاطِنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَاطِلٌ

إِذَا لَمْ يُوَافِقْ مَا أَتَاهُ حَبِيبٌ (3)

فهو على الرغم من إيمانه بوجود الكرامة ينهي العمل بها، ويندد المتذرعين بها لإهمال السنة أو للنيل منها أو الاستخفاف بشيء من مبادئ الدين السمحة، وعيا منه بما في عواقبها من مزالق.

لندقق النظر في ترتيبه التسلسلي المنطقي الذي أجراه للكشف عن تلك المزالق يقول:

لَا يَنْبَغِي تَهَاوُنُ الْآدَابِ

وَسُنَنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ

مُهَاوُنُ الْآدَابِ يُحْرَمُ الشُّنَنُ

مُهَيِّنُهَا يُحْرَمُ بِالْفَرْضِ الْحَسَنُ

يُحْرَمُ بِالْأُخْرَى الَّذِي تَهَاوَنَّا

فَرَضْنَا وَكَانَ أَمْرُهُ مُهَاوَنًا

خوفا من التهاون بالسنة، وضع الشيخ الحاج مالك خطوطا حمراء أمام الآداب الإسلامية، وهذا من باب الورع، وخوفا من الاستخفاف بالصغائر التي قد تؤدي إلى التجريء على ارتكاب الكبائر، والعياذ بالله.

• الميث على اتباع الهدي النبوي والعض عليه.

من الواجب على كل مسلم مؤمن بالله ورسوله ﷺ اقتفاء آثاره ﷺ، فذلك عين امتثال أمر الله تعالى القائل: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} (4) فهو ﷺ الأسوة الحسنة والقُدوة المثالية.

وجهود الشيخ الحاج مالك سي ما فتئت تتعقب تلك الآثار وتدوّن سعيًا إلى ترسيخ هذا الإيمان في قلوب الناس، وقد أكد ذلك بقوله: إن دعاية محبة المصطفى دون العمل بسنته ضرب من العبث، يقول في منظومته خلاص الذهب في سيرة خير العرب:

وَوَاجِبٌ طَاعَةُ الْهَادِي مَحَبَّتُهُ

كَذَا اتِّبَاعُ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْأَمَمِ

لَهَا الْعَلَامَاتُ قَالُوا إِنَّ أَعْظَمَهَا أَسَدُ

تَعْمَالُ سُنَّتِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمَمِ

وَلَيْسَ نَفْعٌ عَلَى حُبِّ بِلَا عَمَلٍ

وَتَابِعِنَ سُنَّةَ الْمُخْتَارِ تَغْتَنِمَ

وَكَثْرَةُ الشَّوْقِ فِي اللَّقْيَا لِسَيِّدِنَا

مَنْ الْعَلَامَاتُ هَبْ لِي ذَاكَ ذَا الْأَمَمِ

وَكَثُرَ ذِكْرُ صَلَاةٍ ثُمَّ نُصْرَةُ دِبِ

سَنِهِ تَخْلُقُ مَا قَدْ جَاءَ مِنْ شَيْمٍ (5)

كما يؤكد بأن الاستخفاف بالسنة وادعاء تعظيمها والدوران في حومتها -كما يحدث اليوم- ضدان متناقضان، وقديما قيل: «ضدان لا يجتمعان». يقول:

بَدَا غَرِيبًا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ بِهِ

وَعَوْدُ غُرْبَتِهِ قَدْ كَانَ مُعْتَلِنًا

4 سورة الأحزاب/ آية 21

5 سي الحاج مالك، خلاص الذهب في سيرة خير العرب، بخط صمم جانج، ص 84

1 سورة الجاثية/ آية 18

2 سي الحاج مالك، كفاية الراغبين، مصدر سابق، ص 593

3 ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص 387

كَفَى مِنَ الْقُبْحِ أَنْ لَمْ يَأْتِ فِعْلُهُمْ

دِينُ النَّصَارَى يَهُودٍ فَأَتَرُكُوا الدِّنَا⁽¹⁾

ويمضي الشيخ الحاج مالك سي في حثه الأتباع على اتباع الهدي النبوي الشريف مشيراً إلى أن الإهتمام في الاقتداء، ومن اقتفى ارتقى، ومن زل، ومن جانب السنة جانبه الصواب، وتاه في ظلم العتاب. يقول:

فَتَبَّ إِلَى اللَّهِ نَوْبًا خَالِصًا حَسَنًا

لَا زِمَ حَيَاتِكَ يَا بَاغِيَ الْهُدَى السُّنَنَا

وَمَنْ أَتَى غَيْرَ مَسْنُونٍ فَقُرْبُهُ

مَرْدُودَةٌ شَرٌّ رَدَّ كُلَّمَا عَلَنَّا⁽²⁾

ولم تنقطع سيولة حثه على اتباع الهدي عند سياقاتها الخاصة، بل كانت تفضي إلى سياقات أخرى تحمل أغراضاً تأليفية خاصة، لكن حرصه على توجيه الأتباع على اقتفاء السنة جعله يذلل أرضية تلك السياقات لحمل توجيهاته، يقول في سياق حديثه عن قصة الحصار ومدته:

عَامَيْنِ بَلْ قِيلَ "جِيْمٌ" كَانَ مُدَّتُهُ

وَقِيلَ بَيْنَهُمَا نَهَجَ الْهُدَى اسْتَقَمَ

فهو في سياق حكاية قصة الحصار، لكنه استغل السياق لتبنيه الدارس على أن دراسة سيرة المصطفى فقط ليست هي الغرض النهائي، بل هي وسيلة وإنما الغرض النهائي هو اقتفاء آثاره، وانتهاج نهجه، والاستقامة على الصراط القويم الذي لا اعوجاج فيه.

ومما يسترعي الانتباه هنا أن الشيخ الحاج مالك سي لم يدع سنة عمل بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وقد حاول العمل بها، ودعا إليها، وهذا ليس دعابة مني على أنه عمل بكل ما عمل به المصطفى ﷺ، وإنما قصدي بذلك التأكيد على اعتناء بالسنن العملية، وعدم استهانتها بها أياً كانت رتبته، والأمثلة في ذلك كثيرة، غير أننا نقتضب منها بعضاً لضيق خناق البحث.

فعند ما نقرأ كتاباته نجده فيها يبحث على اقتفاء سنة حمل العصا للبالغ من العمر أربعين سنة، وقد يتساءل مثلي لفهمه القاصر بالدين كيف يحمل

عصا شاب يافع بالغ في النشوة الشبابية ذروتها، غير أن نظرة الشيخ تنصب إلى زاوية أرقى من تلك التي ينظر إليها أمثالي، فهو ينظر إليها على أنها سنة فعلها الرسول ﷺ - بغض النظر عن الاعتبارات الجانبية، يقول:

حَمَلُ الْعَصَا سُنَّةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ مَعَا

كُنْ حَامِلًا يَا ابْنَ "مِيمٍ" تَنَا مِنْ شَحَمٍ

وبنفس التطريز حاك بيتاً آخر يقول فيه:

حَمَلُ الْأَذَى سُنَّةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ مَعَا

كُنْ حَامِلًا كُلَّ خَيْرٍ صَاحِبِي تَجِدْ⁽³⁾

ويحث على العمل بسنة تحية المسجد أيضاً:

لَا يَجْلِسَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَسْجِدِ

دُونَ نَحِيَّةٍ تَأْمُرُ وَاقْتَدِ⁽⁴⁾

هذه وغيرها من السنن العملية التي نبه إليها الشيخ الحاج مالك الأتباع على أن لا يغفلوا عنها حرصاً على دينهم وعلى هدي نبيهم ﷺ.

هذا، ولعلنا قد وقفنا، خلال هذه الورقة المختصرة، على نماذج من كتابات الشيخ الحاج مالك سي التي تكشف عن مدى تمسكه بالسنة المطهرة ودعوته إليها، وغيرته عليها ودفاعه عنها، ونبذه البدع السيئة المستقبحة وراء اللجج، كما رفعنا اللثام عن مدى فناءه في حب المصطفى ﷺ؛ لأن محبة السنة تستلزم محبة صاحب السنة، ولو افترضنا أنهما شأن غير متلازمين، لاستطعنا الخوض في أغوار كتاباته من جوانب أخرى لاستخراج النماذج التي يترنم فيها بمحبته المصطفى ﷺ، والتي لا يشوبها غرض سواها، لكن الواقع المنطقي يثبت ذلك التلازم المتماسك، فيبقى هذا الأخير موضوعاً مستقلاً قد يتطرق إليه الباحثون بإذن الله.

الباحث/ شيخ أحمد التجاني سائحو

المنسق العام لسراج الحضرة المالكية بتواوون

3 ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص 400

4 ديوان الشيخ الحاج مالك سي، آداب المسجد

1 ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص 406

2 المصدر نفسه، نفس الصفحة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيَّ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَقَالَ الشَّيْخُ الْحَاجُّ مَالِكُ بْنُ عُثْمَانَ عَلَيْهِمَا رِضْوَانُ الرَّحْمَنِ
هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَصِيَّةً لَابْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ
الْمَشْهُورِ بِ (مَامُ مَوْرَخَجٍ سَهِّ الْبِرِّ كَلَانِي) (١)

خُذِ الْوَصِيَّةَ ذِي فِي ضِمْنِهَا الْحُكْمُ
يُرْوَمُهُ عِنْدَ رَبِّي مَنْ لَهُ الْقَدَمُ
ةٌ أَوْ تُرِيدُ كَرَامَاتٍ فَتَغْتَنِمُ
تَحْتَ الْمَقَادِيرِ لَا تَسْأَلُ فَتَظْلَمُ
تَرَى بِنَا غَيْرَ مَا يَقْضِي بِهِ الْحُكْمُ
لَا تَعْتَزْضُ حُكْمَ مَنْ يَقْضِي وَيَخْتَكُمُ
فَتَلِكُ شِيْمَةٌ مَنْ طَابَتْ لَهُ الشَّيْمُ
تُرْضُ الْإِلَهَ وَالْأَزَلَّتِ الْقَدَمُ
إِنَّ الزِّيَادَةَ تُذَكِّيهَا فَتَضْطَرُّ
لِيَطُ الْإِلَهَ وَلَا تَهْجُو وَتَخْتَصِمُ
لِذَاكَ مَا حَقَرُوا خَلْقًا وَلَمْ يَصْمُوا
فَعَلَ الْمُلُوكُ وَلَوْ جَارُوا وَلَوْ ظَلَمُوا
مَا لَيْسَ يَغْنِيهِ ذَاكَ الْفُوزُ وَالْعِصْمُ
فَمِنْهُمَا يُجْلِبُ الْخَيْرَاتِ وَالْعِظْمُ
أَكَلًا وَجَمْعًا وَوُحْدَانًا كَذَا اللَّقْمُ
طَبُّ الْأَطْبَاءِ وَحُكْمُ الْحُكَمَاءِ الْكَرْمُ (١)
فَمَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْفَضْلُ وَالنَّعْمُ
فَاصْبِرْ فَبَعْدَ انْشِدَادِ تَفَرُّجِ الْهَمِّ
عَيْنًا مَتَى جَاءَكَ الْأَوْجَالُ وَالْغَمُّ
عُسْرٌ وَجَلَّ الَّذِي مِنْ عِنْدِهِ النِّقَمُ
(أَوْفُوا بِعَهْدِي) (تَلَا) أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ (٢)
فَلَا زِمَ الْقُضْدَ وَالْأَحْزَانَ تَكْتُمُ
وَأَكْرَمَ الضَّيْفَ مَهْمَا جَاءَ تَحْتَرِمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحَمَّدُ يَا ابْنَ عَمِّي أَحْمَدَ الْعَلَمُ
أَوْصِيكَ تَقْوَى وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا
فَاتَّقِ إِنْ رُمْتَ عِلْمًا أَوْ تُرِيدُ نَجَا
وَعَمَضُ الْعَيْنِ وَاخْضَعْ وَامْدُدْ عُنْقًا
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ الْمُبِينُ فَلَا
غَيْرَ الصَّوَابِ فَلَا يَقْضِي بِهِ أَبَدًا
أَحْسَنُ أَوْ اغْفُ أَوْ اغْرُضْ مَنْ إِلَيْكَ أَسَا
تِلْكَ الْمَرَاتِبُ لَا تَعْدِلْ بِهَا أَبَدًا
فَهَلْ يَزِيدَنَّ مُطْفِي النَّارِ مِنْ حَطَبٍ
وَالنَّاسُ فَاخْشَهُمْ مُسْلَطُونَ بَتَسَ
فَهُمْ مَظَاهِرُ لِلرَّحْمَانِ مَنْ عَرَفُوا
كُفَّ لِسَانَكَ عَنْ فِعْلِ الْعُمُومِ وَعَنْ
مَنْ حُسْنِ إِسْلَامٍ مَرَّةً تَزْكُهُ أَبَدًا
حَمْلُ الْمَشَقَّةِ حَمَلًا وَاحْتِمَالُ أَدَى
بَطْنًا لِسَانًا وَقَلْبًا مَنْظَرًا وَعَيْنَ
عَلَيْكَ مَا عَشْتِ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ وَكَذَا
وَإِنْ أَتَاكَ كَرْوَبٌ فَافْرَحَنَّ بِهَا
إِنَّ أَرْهَقَتْكَ لِيَالِي اللَّهِ مَا زَمَةٌ
وَسُورَةُ الشَّرْحِ فَاقْرَأْ كَيْ تَقَرَّ بِهَا
فِي ضِمْنِهَا يَا لَهَا يُسْرَانِ بَيْنَهُمَا
وَأَوْفِ عَهْدَ الَّذِي أَتَى بِمُحْكَمِهِ
إِنْ مُعْدِمًا عُدْمَةً أَوْ كُنْتَ ذَا سَعَةٍ
سَوْ الْأَحْبَاءَ وَالْأَعْدَاءَ مَعْدَلَةً

١ - قوله: (علم العلماء) هو قولك فيما لا تدري: لا أدري، و(طب الأطباء) هو الجوع وعدم إدخال طعام في طعام، و(حكم الحكماء) وهو ملازمة الصمت.

٢ - هو قوله تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي وَإِيَّاي فَآرْهُبُونَ) (سورة البقرة/ جزء من الآية: ٤٠).



وَمِثْلُ ذَا خَدْمَةِ الْأَشْيَاخِ وَالْفَرَسِ الْإِنَّا نَطُوفُ دُنْيَا مَا نَطُوفُهُ
وَفِي الثَّرَى يَسْتَوِي مُثَرِّمٌ وَمُنْعَدٌ
مِثْلُ الْجَرَادَةِ دُنْيَا إِنْ قَطَعْتَ لَهَا
وَرَأْسَهَا حُبَّهَا يَا فُوزَ مَنْ زَهْدُوا
وَأَحْذَرُ مُخَالَطَةِ الْأَخْلَاقِ لَيْسَ بِهَا
لَا تَشْتَرِي بِرِضَا الرَّحْمَنِ مَسْخَطَهُ
لَا تَخْطُ مِنْ خَطْوَةِ لَغِيرِ رَبِّكَ لَا
وَالْعَبْدُ إِنْ كَانَ يُلْفِي عِنْدَ سَيِّدِهِ
وَالْعَارِفُونَ فَنُوا فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا
لَأَنَّهُمْ نَظَرُوا الْأَشْيَاءَ وَافْتَكَرُوا
شَيْءَ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ يَلْحَقَنَّ بِهِمْ
فَقَطَّعُوا النَّظَرَ عَنْهَا يَا لِرَاحَتِهِمْ
هُمْ الْأَمَائِلُ وَالْأَشْرَافُ يَا لَهُمْ
أَزْكَانَ بَيْتِ الْوَلَايَا يَا حَبِيبُ إِلَى
هُمْ السَّعَادَةُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ
مُحَارِبُ اللَّهِ مُؤْذِيهِمْ نَعُودُ بِهِ
هُمْ الَّذِينَ الَّذِي آثَارُهُمْ تَبَعَ
قَوْمٌ يُشَارُ بِأَنَّ اللَّيْلَ رَاحَتُهُمْ
قَوْمٌ بُدُورٌ إِذَا مَا كَانَ غَيْرُهُمْ
فَنَسَّالَ اللَّهُ رَبِّي حَشَرْنَا مَعَهُمْ
جِدَّ تَجِدُ قَطْرَةً مِنْ بَحْرِ حَضْرَتِهِمْ
عَلَى الْحَبِيبِ الَّذِي أَسْرَى إِلَهُ بِهِ
أَزْكَى صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ يَوْدُهُمَا

سورة النجم

غَزَوْ فَعَنَهَا الرِّيَا يُنْفَى وَيَنْحَسِمُ
وَبَعْدُ يَغْلُو عَلَيْنَا وَيَلْنَا الْأَكْمُ
وَلَا زَمَنَ طَاعَةَ الْمَوْلَى فَتَعْتَصِمُ
رَأْسًا تَحِلُّ وَخَفَهَا قَبْلُ تَغْتَنِمُ
وَفِيهِ رَاحَةٌ مَنْ لِلْأَيْلِ يَنْجِزُمُ
إِلَّا الْمَضَرَّةُ وَالْخُسْرَانُ وَالظُّلْمُ
وَلَا اللَّظَى بِجَنَانٍ زَانَهَا الْحَكَمُ
إِذْ كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الرَّحْمَنِ مُضْطَلِمٌ
كُلُّ الَّذِي اخْتِيجَ لَمْ يَحْسُنْ لَهُ الْعَشْمُ
غَيْرَ الْإِلَهِ وَغَيْرُ اللَّهِ فَالْعَدَمُ
فَوَجَدُوهَا إِلَى قِسْمَيْنِ تَنْقَسِمُ
غَيْرُ الْمُقَدَّرِ لَيْسَ الدَّهْرُ يَنْتَظِمُ
سُلُوكُ نَهْجِهِمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمُ
هُمْ الْأَحْبَاءُ وَالْأَخْيَارُ وَالْكَرَمُ
جُوعٌ وَصَمْتُ وَسَهْرٌ عَزْلَةٌ قَسَمُوا
وَنَظَرٌ فِيهِمْ يُشْفَى لَهُ السَّقَمُ
أَمَّا الْمَوَالِي يُوَالِي مَنْ لَهُ الْقَدَمُ⁽¹⁾
إِنْ يَلْقَ مَوْلَاهُ رَبِّي لَيْسَ يَخْتَشِمُ
قَوْمٌ مَحَبَّتُهُمْ فُوزٌ وَمُغْتَنَمُ
نَجْمًا وَإِنْ بَدْرًا كَانُوا الشُّمُوسَ هُمْ
سُبْحَانَ رَبِّ لَهُ الْإِفْضَالُ وَالْعِصْمُ
غَيْرُ الْمُجِدِّ لَهُ الْخُسْرَانُ وَالنَّدَمُ
وَالِهُ وَهُمْ لِلْمُقْتَدِي النُّجْمُ
رِيحُ الْخَزَامَى وَرِيحُ الْمِسْكِ وَالنَّسَمُ

١ - إشارة إلى قوله T: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع. ((الجنة)).

بسم الله الرحمن الرحيم
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
تقريب الشيخ الحاج مالك سه (مود)
نجل الشيخ الحاج عبد العزيز الدباغ

أَصْبَحْتُ وَالشَّوْقُ مِنِّي قَدْ بَرَى جَسَدِي
وَالْحُبُّ تَيَمَّنِي وَالْوَجْدُ أَذْنَفَنِي
حَاوَلْتُ كِتْمَانَ أَشْوَاقِي فَيَفْضَحْنِي
هَلْ مِنْ طَبِيبٍ لِمَجْرُوحٍ فَيُسَعِّفُهُ
شَيْخُ إِمَامٍ مُنِيرِ الدَّرَبِ مُنْجِدُنَا
حَامِي الشَّرِيعَةِ مُعَلِّي رُكْنِهَا عَلْنَا
بَذَرِ الْحَقِيقَةِ مِنْهَاجِ الطَّرِيقَةِ مَضَى
مُعَلِّمٍ وَمُرَبِّ النَّفْسِ مُصْلِحِهَا
وَرَائِدِ الدِّينِ وَالتَّغْلِيمِ رَافِعِهِ
ذَاكَ ابْنُ عُثْمَانَ مَنْ بَانَتْ وَلَايَتُهُ
ذَاكَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ الـ
فَرْدُ الْجَلَالَةِ لَا تُخْصَى مَنَاقِبُهُ
شَمْسُ الْمَعَالِي إِمَامٌ سَيِّدٌ وَرَرُ
لَهُ الْخَوَارِقُ فِي الدُّنْيَا مُخَلَّدَةٌ
كَذَا خَصَائِصُ فِي الْعَرْفَانِ شَاهِدَةٌ
أَحْوَالُهُ فِي مَجَالِ الْخَيْرِ لَائِحَةٌ
حَوَى مِنَ الْمُصْطَفَى خَيْرَ الْوَرَى مِنَّا
وَبِالَّذِي نَالَ مِنْ مَوْلَاهُ تَبَدَّرَ الـ
وَهُوَ الْخَلِيفَةُ لِلشَّيْخِ التَّجَانِ نَعَمْ
وَهُوَ الْمُبَوَّأُ فِي عَرْشِ الدَّرَايَةِ وَهُوَ
قَدْ عَاشَ مُتَّبِعًا، مَا كَانَ مُبْتَدِعًا،
فَذَكَرُهُ فِي جَدِيدِ الدَّهْرِ مُسْتَطَرٌّ
مَا زَالَ صَوْتُ الْوَرَى فِي كُلِّ نَادِيَةٍ
لَهُ تَأْلِيفٌ فِي الْأَحْكَامِ فِي سِيرِ
أَجَلٍ وَإِنَّ لَهُ تَفْسِيرَ آيِ كِتَابِ
مَهْمَا تَصَفَّحْتَ مَكْتُوبَاتِهِ ظَهَرَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
تَقْرِيبُ الشَّيْخِ الْحَاجِّ مَالِكِ سَه (مُود)
نَجْلُ الشَّيْخِ الْحَاجِّ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدُّبَاغِ

بَرِيًّا بِهِ الْقَلْبُ لَمْ يَثْبُتْ عَلَى جَلَدِ
وَالذِّكْرُ هَيَّجَنِي مُذْ دَارَ فِي خَلْدِي
حَالِي وَنَارُ الْهَوَى قَدْ أَحْرَقَتْ كَبْدِي
عَلَى الْإِفَاقَةِ مِنْ وَجِدٍ وَمِنْ كَمَدِ
هَادِي الْبَرِيَّةِ دَاعِيهَا إِلَى الرَّشَدِ
وَنَاصِرِ السُّنَّةِ الْغُرَّاءِ دُونَ دَدِ
سَبَاحِ الظَّلَامِ أَوَانَ الْجَهْلِ وَالْأَوْدِ
مُهَذَّبِ وَمُزَكِّي الْخُلُقِ مِنْ نَكَدِ
عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ مُعْتَمِدِ
وَبَزَّ فِي الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالْمَدَدِ
مَيِّمُونَ مَنْ أَمْرُهُ يَغْلُو إِلَى الْأَبَدِ
بِفَضْلِهِ يَتَغَنَّى الدَّهْرُ ذَا غَرَدِ
فَاعْجَبْ بِهِ مِنْ هُمَامٍ مُرْشِدِ سَنَدِ
فِي الْإِسْتِقَامَةِ بِالْمَوْلَى عَلَى سَدَدِ
بَآنُهُ مِنْ رِجَالِ كَمَلِ عُمَدِ
بِالْبُشْرِ وَالْفَتْحِ وَالرِّضْوَانِ وَالصَّفَدِ
قَدْ أَعْيَتِ الْبُلْغَا فِي الذِّكْرِ وَالْعَدَدِ
أَفْوَاهُ مُفْصَحَةٍ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
بِهِ الْفَخَارُ لَنَا فِي سَائِرِ الْبَلَدِ
وَ الْقُطْبُ عِنْدَ ذَوِي الدِّيَوَانِ وَالْمَدَدِ
وَنَزَّ النَّاسَ عَنْ أَسْوَاءِ مُعْتَقَدِ
وَنَهَجُهُ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ لَمْ يَحِدِ
يَشْدُو بِأَمْجَادِهِ الْعِلْمِيَّةِ الصَّعْدِ
فِي الْوَعْظِ وَالرُّهْدِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْوَتْدِ
بِ مِثْلِهِ لَنْ يُرَى كَلَّا وَلَمْ يَرِدِ
لَكَ الْفَرَائِدُ تَسْمُو خَالِصَ الرِّبْدِ



بَحْرٌ مُحِيطٌ فَلَيْسَ النَّزْحُ يَنْقُصُهُ
ذُرَاهُ تُقْضَى بِهِ الْحَاجَاتُ جُمْلَتُهَا
مَا زَالَ مُنْذُ بَنَاهُ الشَّيْخُ مُرْتَفَقًا
يَعْلُو لَدَيْهِ دَوِيُّ الذِّكْرِ فِي حَلَقِ
أَبْقَاهُ مَوْلَاهُ لِلْخَيْرَاتِ مُحْتَضِنًا
يَجْزِي بِخَيْرِ جَمِيعِ الْقَائِمِينَ بَاغٍ
مُسِيرًا كُلَّ أَنْجَازٍ يُنَاسِبُهَا
وَيَحْفَظُ اللَّهُ مَوْلَانَا الْعَزِيزُ أَمِيرٌ
يَجْزِيهِ عَنْ كُلِّ مَا أَبْدَاهُ مِنْ خَدَمٍ
قَدْ قَامَ فِي أَمْرِ هَذَا الشَّيْخِ مُحْتَفِلًا
وَفِيهِ سَخَّرَ كُلَّ الْجُهْدِ مِنْ كَرَمٍ
شُكْرًا لَهُ وَلِمَنْ فِي الْأَمْرِ مَدَّ يَدًا
فَأَرَضَ مَا شِئْتَ هَذَا الْعَاهِلَ الْعَلَمُ الْ
ذَاكَ الَّذِي نَصَرَ الْإِسْلَامَ مُنْتَصِرًا
مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ نَجَارًا أَصْلُهُ حَسَنٌ
بَيْتٌ خَلَفْتُهُ فِي اللَّهِ رَاسِيَةً
هَذَا مُحَمَّدُ ابْنُ السَّيِّدِ الْحَسَنِ الثَّ
كَافْتُهُ يَا رَبَّنَا عَنَّا وَمُدَّ لَهُ
وَعَرْشُهُ أَبْقِهِ يَا رَبِّ مُغْتَبَطًا
وَأَجْعَلْ وَرَاثَةً شَيْخِي فِي الْوَلَايَةِ وَالْ
وَأَنْصُرْ أَبَا بَكْرٍ السَّامِيَّ خِلَافَتَهُ
وَأَرْفَعْ بِهِ أَمْرَ هَذَا الْبَيْتِ وَأَحْمِ بِهِ
وَطَوِّلِ الْعُمَرَ وَأَرْحَمْ مَنْ مَضَوْا سَلَفًا
لَا بَارَحَتْ بَرَكَاتُ اللَّهِ مِنْ كَرَمٍ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ وَالْخُلَفَا

وَفَضْلُهُ لَيْسَ يُسْتَوْفَى مَدَى الْأَمَدِ
وَيَنْصُرُ الدِّينَ فِيهِ كُلُّ مُجْتَهِدٍ
وَمَرْكَزًا مِنْهُ يُجْلَى سَائِرُ الْعُقَدِ
الْحَانُهَا مُتَعَةً لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ
يَوْمُهُ النَّاسُ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ
بَاءَ الْمَدِينَةِ يُخْذِيهِمْ بِخَيْرِ يَدٍ
حَتَّى تَوْفَرَ فِينَا السَّعْدُ بِالرَّغْدِ
رَ الدِّينِ وَالْعَاهِلِ الْمُخْفُوفِ بِالْمَدَدِ
فِي سَاحَةِ الْعِلْمِ وَالْإِسْلَامِ وَالْبَلَدِ
قِيَامُهُ الْمَوْلَوِيَّ السَّامِيَّ الْبُعْدِ
حَتَّى يُكَلَّلَ بِالتَّوْفِيقِ وَالرَّشْدِ
وَبِالْأَخْصِ مَعَالِي السَّيِّدِ السَّنَدِ
مَيْمُونٍ وَالْمَلِكِ الصَّنَدِيدِ يَا صَمَدِي
وَحُسْنُ طَلْعَتِهِ يَجْلُو مِنَ الدَّادِ
نَجْلُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ بَحْرُنَا الْفَرْدِ
هُمْ الْأَسْوَدُ وَهُمْ سَادَاتُ كُلِّ نَدِي
ثَانِي فَأَكْرَمَ بِهِ أَكْرَمَ بَذَا الْوَلَدِ
عُمَرًا طَوِيلًا بِهِيَجِ الْحَالِ وَالْجَسَدِ
بَطُوقٍ مَجْدٍ زَرَى بِطُوقٍ جِيدٍ هَدِي
عِرْفَانٍ تَسْرِي دَوَامًا رَبِّ فِي الْوَلَدِ
فِينَا وَكَمَلْ لَهُ الْأَمَالُ يَا صَمَدِي
دِينَ الْهُدَى وَأَحْمِهِ مِنْ شَرِّ ذِي حَسَدٍ
وَأَشْدُدْ بِأَخَوْتِهِ يَا رَبِّ فِي الْعُضْدِ
جَنَابِ ذَا الشَّيْخِ نَسْتَكْفِي بِهِ وَقَدْ
رُوحُ الْوُجُودِ وَتَسْلِيمٌ مِنَ الْأَحَدِ
وَمَنْ حَذَا حَذَوْهُمْ فِي الْمَسْلِكِ الْأَبَدِي